نفحات البيان
في سورة الدخان

م. م. زينب هاشم حسين

جامعة بغداد/ كلية التربية للعلوم الإنسانية ابن رشد

قسم اللغة العربية

الملخص :

ورد عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قوله: ((آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها)).

وهذا البحث يفتش في خزينة سورة الدخان المباركة ويُدقق النظر فيها، فسورة الدخان بآياتها القصار، وقوافيها المتقاربة، وصورها العنيفة، تطرق على أوتار القلوب وتحاكي الأرواح بأسلوب قرآني معجز وتعبير فني مقصود.

وجمال تماسكه، فالبحث يركز في مسيرته من أوله إلى منتهاه على بيان ما في سياق السورة من تماسك وانسجام وما فيها من وسائل ومؤثرات تعبيرية توقظ القلب البشري ليستقبل هذه الحقائق الحية النابضة.

فهو يدرس النص القرآني مبتدئاً بالمفردة وما يعتريها من ترادف، أو اسمية أو فعلية، ويُنظر في وجوه التأليف القرآني كـ: التقديم والتأخير والحذف والذكر والعدول والتعريف، والتنكير، والتناسب، وهو في ذلك كلّهُ يُلقي الضوء على مواطن الفن والجمال وروعة النظم، موضحاً في أثناء ذلك الأسباب التعبيرية المختلفة بأمثلة وآيات قرآنية تدل القارئ وتبصره بعناية والواضح بدقائق أحكام اللغة وأسرارها.

المقدمة :

الحمد لله الذي لا يحمد سواه ولا يبتهل إلاّ إليه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله وصحبه المنتجبين. وبعد :

يسير البحث في محورين هما :

1- المفردة القرآنية .

2- التأليف القرآني .

وفي المفردة القرآنية تتبع البحث ظاهرة الترادف أو التقارب في المعنى، والقطع بعدم وجوده في القرآن الكريم، وذلك بتتبعه لعدّة ألفاظ تعدُّ مترادفة كـ(الكتاب والقرآن)، (الإتيان

والمجيء)، (الرسول والنبي)، (الخلق والإنشاء) (الله، ورب)، (الارتقاء والانتظار)، والبحث يُلقي الضوء على الفروق الدقيقة التي يراعيها التعبير القرآني بين هذه الألفاظ .

ويتناول البحث أيضاً المفردة الاسمية، متطرقاً فيها إلى الصيغ الصرفية المختلفة للبنية الاسمية، وفيه يُنظر البحث في الأسباب والعلل التي أدت إلى إيثار صيغة على غيرها، أو وضع صيغة موضع صيغة أخرى أو اجتماع صيغتين لجذر واحد في موضع واحد، ثم يتتبع البحث المفردة الفعلية بالدرس والتمحيص مركزاً فيها على عدّة منها: (استعمال خاص لبنية الفعل "فعّل، أفعل" ، استعمال الفعل مبيناً للمعلوم وأخرى مبيناً للمجهول)، والارتكاز في ذلك كله على المعنى والاحتكام إلى السياق.

وفي التأليف القرآني: نظر البحث في وجوه التأليف القرآني المتعددة كـ: دلالة الجملتين الاسمية والفعلية، والعدول، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتوكيد ، ثم يتم البحث بما يدل على براعة النظم وجمال التعبير القرآني المقصود لحكمة الواضح فهو يراعي التناسب والانسجام بين مفتتح السورة وخاتمتها وهو وجوه من وجوه إعجاز النظم القرآني .

المبحث الأول

المفردة القرآنية

تتألف الجملة العربية من عناصر، أحدها: المفردة التي نعني بها الكلمة، فالكلمة: هي اللفظة المفردة الدالة على معنى، والكلام مركب من الكلمات المفردة، أي: الجملة المفيدة [(1)].

ولما كان التركيب فرع عن الإفراد وجب البدء به، لإن تحصيل معاني مفردات القرآن من اوائل العلم، لمن يريد إدراك معانيه، فالمركب لا يعلم إلا بعد العلم بالمفرد [(2)].

1- الترادف في المفردة القرآنية:

الترادف لغةً: التتابع، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه [(3)]، واصطلاحاً: هو اتحاد المفهوم، أو توالي الالفاظ الدالة على شيءٍ واحد باعتبار واحد [(4)]. والترادف من الظواهر اللغوية المختلف في وجودها فمن اللغويين من اثبتها ومنهم من انكرها [(5)].

أما الترادف في القرآن الكريم فيمكن الجزم بندرة وجوده أو انعدامه تماماً؛ لأن الواضع حكيم؛ فالإلفاظ التي تبدو مترادفه بينها فروق دقيقة روعيت عند استعمالها في التعبير القرآني.

فقد ورد في ((البرهان)) الأمور التي يجب أن يراعيها المفسر ومنها ((القطع بعدم الترادف ما امكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد))[6].

والبحث في صفحاته القابلة سيتلمس هذه الإلفاظ التي تبدو مترادفة ويبين الفروق بينها، وإن كانت تعد متفقة على مفهوم واحد، إلا أن خصوصيات السياق تستوجب استعماله لفظ دون غيره، ومنها الإلفاظ الآتية.

أ- (الكتاب) و(القرآن)

قال تعالى في بداية سورة الدخان: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[7] .

يلاحظ أن كل سورة تبدأ بحروف التهجي يرد في أولها ذكر الكتاب، أو القرآن، أو التنزيل[8]، وقد ورد ذكر الكتاب في الدخان بينما في سورة (يس) قال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [9].

فهل كان ذلك من باب التنويع اللفظي، أو كان دلالةً على الثراء اللغوي للواضع؟!

إنّ الواضع كما اسلفنا حكيم وضع كل لفظة في موضعها لتناسب السياق الذي وردت فيه، دون لفظة أخرى مقاربة لها في المعنى.

ومن ذلك ما يمكن ملاحظته بين لفظتي (الكتاب) الواردة في سورة الدخان، و(القرآن) الواردة في سورة (يس):

- ما ورد في تفسير (حم) أنَّه إشارة إلى حمد الله على إنزاله الكتاب الذي هو من أجل النعم [10].

وورد في تفسير (يس) أنَّه اسم النبي محمد 6 [11]. فالحمد (حم) في مقدمة سورة الدخان يناسب لفظ (الكتاب) لإن الله يحمد على إنزاله جميع الكتب السماوية وليس القرآن فقط. أما (يس) وما فيه من دلالة على الرسول محمد 6 ناسبه القسم بالقرآن تعظيماً وتفخيماً وتخصيصاً به 6 فهو معجزته التي جاء بها.

- في سورة الدخان وصف لفظ (الكتاب) بـ (المبين)، والإبانة صفة أمتازت بها جميع الكتب السماوية المنزلة منه جل وعلا، ففيها بيان للناس ولجميع أمور دينهم ودنياهم، فالإبانة حاصلة بكل الكتب المنزلة منه ﷻ [12].

بينما (القرآن) في سورة يس، وصف بـ (الحكيم) لإنه آخر الكتب المنزلة، والذي احتوى على تشريعات محكمة كاملة ناسخة غير منسوخة، بخلاف الكتب السماوية التي نزلت قبله.

- إن غرض سورة الدخان المباركة يتلخص في: إنذار المرتابين بعذاب الدنيا وعذاب الأخرة [13]، وهذا الارتياب متحقق في كل الأزمنة وفي جميع الأمكنة وهو أمر مذكور في كافة الكتب السماوية وليس خاصاً بكتاب دون سواه، وغالباً ما يعبر بالكتاب عن الحجة الثابتة من جهة الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [14] وما فيه من إشارة إلى العلم والتحقق والاعتقاد [15]. فالكتاب بما يحمله من دلالة ناسب غرض سورة الدخان فإنذار المرتابين يكون بالحجة والعلم والتحقق والاعتقاد. أما سورة (يس) المباركة فإن غرضها يتلخص في بيان الإصول الثلاثة للدين فهي تبتدئ بالنبوة ثم تنتقل إلى التوحيد ثم إلى المعاد [16]، فبيان هذه الأصول الثلاثة مبتدأ بأصل (النبوة) ناسبه القسم بالقرآن دون غيره من الكتب فهو معجزة الرسول محمد 6 والمقام إثبات نبوته.
- ابتدأت سورة الدخان بالقسم بـ (والكتاب) ثم جاء جواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [17] ثم قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ والجملتان مستأنفتان فسر بهما ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ كأنه يريد: أنزلنا لأن من شأننا الإنذار والتحذير وأن نكتب ونفصل كل امر محكم ومتقن من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة [18].

وإبرام القضاء يناسبه القسم بلفظ (الكتاب) لإن الكتابة يعبر بها عن القضاء الممضي وما يصير في حكم الممضي، وعلى هذا حمل قوله: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[19]، وقوله: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[20] و ﴿لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [21] و ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[22] يعني ما قدره وقضاه[23].

أما سورة (يس) فإنها تبتدئ بالقسم (والقرآن) ثم يجاب القسم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [24]؛ فالآيات التي جاءت ضمن جواب القسم مخصصة كلها بالرسول الاكرم 6 واثبات نبوته ورسالته وأنه على طريق الحق الذي يؤدي إلى الجنة وأن القرآن الكريم أُنزِل للإنذار من معصية الله ولينذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون[25]. وكل ذلك كان الانسب به أن يقسم بالقرآن خاصة.

ب- (المجيء) و(الإتيان):

بين (جاء) و(أتى) فروق لغوية دقيقة يبرزها الاستعمال ويقتضي أحدها دون غيره السياق، فقولك جاء فلان. كلام تام لايحتاج إلى تتمة، أما قولك: (أتى فلان) يقتضي مجيئه بشيء ما.

والإتيان: مجيء بسهوله وخفة، والمجيء أعم منه لأنه يقال باعتبار حصوله، أما الإتيان يقال باعتبار القصد وإن لم يحصل، والمجيء مختص بالجواهر والاعيان وقد ورد كثيراً في القرآن: ك: جاءهم كتاب، جاء أجلهم، جاءهم رسول. أما الإتيان فهو في (المعاني والازمان) كقوله: أتيناك بالحق، أتى أمر الله وغيره [26].

و(الاتيان) و(المجيء) قد وردا في سورة الدخان في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [27] فالدخان وأن كان عيناً إلا أن المراد به في الآية الكريمة دخان آخر بمواصفات أخرى فهو ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [28] فالعذاب أمراً معنوياً في حكم المعاني يمكن استعمال لفظ الاتيان معه.

وفي قوله تعالى ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [29].

(السلطان) من المعاني لإنه من أسماء الحجة ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾[30] والمعجزة حجة عظيمة ولذلك وصف السلطان بـ(مبين)أي واضح الدلالة لا ريب فيه[31].

وفي قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ [32] فالآيات هي: المعجزات التي ظهرت على يد موسى 7 كفلق البحر وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، والنصر على الاعداء رغم كثرتهم وقوتهم [33].

فجاء بلفظ (الإتيان) مع الآيات على الرغم من أن بعضها عين وبعضها معنى، وذلك لأنهم لما انكروها صارت في مقام الشيء الغير مرئي، أو لأن التعبير القرآني يقص في هذه الآيات على ما لم يرها ولا يعرف ماهيتها فلا يستطيع تخليها أصلاً فصارت كالشيء المعنوي غير ملموس وغير محسوس.

أما قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [34] (فأتوا بأبائنا) كان على سبيل الاستهزاء وإنكار حصول ذلك بمعنى: إنكم لا تستطيعون إعادتهم [35] فجاء بلفظ (أتى) على لسانهم لأنهم لا يعتقدون أصلاً باحياء آباءهم، فصار (الاباء) في مقام المعاني لا مقام الاعيان لأنهم لا يرونهم وينكرون عودتهم.

ثم قال في آية أخرى من سورة الدخان: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾(36)، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (37).

فاستعمل لفظ (جاءهم) ولم يقل: أتاهم، لأن الرسول من الاعيان مرئيا لهم حاضراً امامهم، يشاهدونه ويعرفونه.

ج- (رسول) ، (نبي):

تبدو لفظتي (رسول) و(نبي) من الألفاظ المترادفة، ولكن بينهما فروق دقيقة، فالنبي: من النبوة أي: الرفعة، وسمي نبياً لرفعة مكانته عن الناس وذلك ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (38)، والنبي: هو المبعوث بشريعة جديدة أو المبعوث لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني اسرائيل وهم ما بين موسى وعيسى 7، والنبي لا يكون إلا صاحب معجزة، أما الرسول قد يكون رسولاً لغير الله فلا يكون صاحب معجزة، والرسول: لفظة تطلق على كل من حمل رسالة وهو أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس العكس، فالرسول من معه كتاب أو شريعة أما النبي هو الذي ينبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب مثل (لوط، اسماعيل، أيوب، يونس، هارون) فهم لم يكونوا أصحاب كتب مستقلة (39) .

وقد وردت لفظة (رسول) في سورة الدخان في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾(40) ، بينت التفاسير أن المراد بالرسول هنا هو الرسول الاكرم محمد (6) (41) .

وهو مرسل بكتاب وشريعة مستقلة ويصح اطلاق لفظة (الرسول) عليه كما يمكن اطلاق لفظ النبي عليه (6)، لكن الاستعمال القرآني آثر لفظة (الرسول) في هذا الموضع، فقد جاءهم من موجبات التذكر ما هو اعظم من كشف الدخان وهو الرسول وما ظهر على يديه من الايات البينة والكتاب المعجز (الذي ذكر في مطلع السورة المباركة).

وهذا السياق ناسبه لفظة (الرسول)، وأيضا ما جاء في الاية اللاحقة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ (42) ناسبة أيضا إيراد لفظة الرسول زيادة في القاء الحجة عليهم وتبكيتهم لأن المرسل إليهم كان من الرسل أصحاب الكتب السماوية، وتسلية للرسول (6) وتأنيساً له جيء بلفظة (الرسول) ليصرفه عن قولهم (معلم مجنون)(43).

وتأتي لفظة (الرسول) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾(44) وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(45) . والنبي موسى عليه السلام ممن جاء بكتاب وشريعة سماوية، والموضع اختص بذكر لفظة (الرسول) ولم يذكر

النبي مع أنه يصح استعمالها لأنه لما قال : ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فهو امين على وحيه ورسالته وهو عِلَّة للأمر بالتأدية فجعل بني إسرائيل كالأمانة عند فرعون حين قال (أدوا)، واستعمال لفظة الرسول وما فيه من معنى تبليغ الرسالة ووصفه بالكريم أي: النفيس الفائق في صنفه، فهو كريم على الله وعلى نفسه وعلى المؤمنين فالله لم يبعث نبياً إلا من سراة القوم وكرامهم، ثم وصفه بالامين وكل هذه الاوصاف لبيان أهليته لحفظ (بني إسرائيل) وقدرته على إيصال عباد الله إلى بر الامان والحفاظ عليهم، فمن كان أميناً مؤتمناً على الرسالة الالهية لاشك في أهليته أن يراعي حفظ العباد والحفاظ عليهم (46).

د- (خلق) و(أنشأ):

إن لفظة الخلق تعني: الإبداع والتقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.

أما لفظة الإنشاء فتعني : الإحياء والإحداث والتربية والإيجاد شيئاً فشيئاً، واكثر ما يكون في الحيوان (47).

ولفظة (الخلق) ورد في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ(38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(48) استعمل القرآن لفظ (الخلق) في هذه الايات لأن خلق السماوات والارض هو ابداعٌ لها من غير أصلٍ ولا احتذاءٍ، ومما يدل على ذلك أن القرآن الكريم كلما ذكر إيجاد السماوات والأرض جاء بلفظ الخلق (49).

أما لفظ الإنشاء فلا يناسب سياق إيجاد السموات والارض لما فيه من معنى الإحياء والتربية واختصاصه بالحيوان غالبا.

ولعل سائل يسأل لماذا استعمل القرآن لفظة (الخلق) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾(50) وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾(51) ، ولم يستعمل لفظ (الانشاء) مع أن المخلوق من الحيوان وذلك لأن المراد في الايات السابقة إيجاد الانسان وبيان صورة ابداعه في غير احتذاء ولا أصل ولذلك نراه في الآية الاخيرة لما أتم الكلام على خلق الانسان قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(52) .

فقال: أنشأناه : بنفخ الروح فيه وإحداثه وتربيته شيئاً فشيئاً.

هـ- (الله) و(رب)

جاء في سورة الدخان قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾(53) ، عندما نفى الالوهية عمن سواه فلا اله إلا هو ذكر قدرته على الاحياء والامانة

وهي صفة من صفات الالهة لا غيره، ثم بين أن الاله المتصف بهذه الصفات هو ربكم ورب ابائكم منشئكم ومنشئهم والمتكفل بمصالحكم من ساعة احيائكم حتى مماتكم .

فلفظ (رب) ناسب السياق السابق لما فيه من معنى التربية والتكفل بمصالح العباد.

ثم قال في آية أخرى من سورة الدخان ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ* رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (54) .

جعل الخطاب على لسانهم بلفظ (الرب) لما في هذا اللفظ من الاستعطاف؛ فقد خاطبوه (بربنا) فهو موجدهم ومنشئهم والمتكفل بتربيتهم وبكافة مصالحهم، فربوبيته موضع من مواضع رحمته فكأنهم استنجدوا برحمته طالبين عطفه كما عطف عليهم حين اوجدهم ورباهم.

وقيل حينما ذكر (الناس) ذكر (الرب)(55)

أما قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (56)

فقال: عباد الله ولم يقل عباد الرب، وذلك لاجل تخصيصه جل وعلا بلالوهية دون سواه ممن كانوا يشركون بهم ويدعون الوهيتهم، فلفظ الله اصله (اله) حذفت همزته وادخل عليه الالف واللام فخص به تعالى فهل ﴿تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (57) أما لفظ (الرب) يطلق عليه عز وجل ويطلق على غيره؛ فرب الدار ورب الفرس: صاحبها، ومنه (58) ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾(59)

ز- (ارتقب) ، (انتظر):

وقد ورد لفظ (ارتقب) في سورة الدخان في قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (60) .

فقال: ارتقب، ولم يقل: انتظر، وذلك لأن :

1- (ارتقب) فيه إيذان بقرب حصول الشيء المرتقب، أما الانتظار ففيه مهلة وتراخي وتأني، فجيء بلفظة (ارتقب) ليعلمهم أن هذا الدخان الذي يوعدهم به قريب الحصول فكأنه واقع بهم لا محاله (61).

2- (ارتقب) في الأصل مأخوذة من الرقبة، والمرتقب يمد رقبته إلى ما يرتقب حصوله، والدخان الذي أوعدهم به يأتي من السماء اي من فوقهم فكان الارتقاب ومد الرقبة إلى الأعلى انسب من الانتظار (62).

3-ذهب بعضهم إلى أن ارتقب هنا استُعمِل بمعنى احفظ اعتمادا على ما في الرقيب من معنى الحفيظ، والمعنى : ((احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، ولذلك سمي الحافظ رقيباً))[63] ؟

ثانياً: المفردة الاسمية:

المراد بـ (المفردة الاسمية) هنا الصيغ الصرفية المختلفة للكلمة كـ: اسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفة المشبهة والمصادر.

وكل صيغة من هذه الصيغ – في الغالب- لها دلالة تختلف عن اختها قليلا أو كثيراً، فالزيادة في المباني دليل على زيادة المعاني [64] .

ولاريب أن القرآن الكريم قد أفاد من الفروق الدقيقة بين هذه الابنية مستعملاً إياها استعمالاً في غاية الدقة والجمال.

أ – اسم الفاعل:

جاء في سورة الدخان قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾[65]، ومبين اسم فاعل من الفعل: أبان

ذهب صاحب التحرير والتنوير إلى أن (مبين) قد يكون اسم فاعل من (أبان المتعدي) ومفعوله محذوف لدلالة (الذكرى) عليه والمعنى: مبين لهم ما به يتذكرون من مناهج الحق والكتاب المعجز وغيره من المعجزات.

ويجوز أن يكون من (أبان) القاصر الذي هو بمعنى (بان)أي: رسول ظاهر عظيم الشأن، اي: ظاهرة رسالته عن الله بما توفر معها من دلائل صدقه.

ويذهب صاحب التحرير والتنوير إلى أن الباري ﷻ استعمل (مبين) ولم يستعمل (مبيّن) بالتشديد ليفيد بـ (مبين) معنيين: هما: أن الرسول (6) يبين للناس وأنه بائن لهم أي: ظاهر [66] .

ولعل ما ذهب إليه صاحب التحرير والتنوير فيه نكتة من نكت الاعجاز ولكن لفظة (مبيّن) بالتشديد من الفعل (بيّن) المضعف والتضعيف فيه أفاد التكثير والمبالغة، والمعنى المراد في الآية المباركة سوى ذلك فالمراد: رسول ظاهر بين معروف للناس بما جاء به من آيات بينة ودلائل واضحة، أو هو رسول مبين للناس مناهج الحق وسبل الرشاد [67] ، وكلا المعنيين لا حاجة فيهما للتكثير أو المبالغة والله اعلم.

ب- صيغة (فعيل): (فعيل) بمعنى (مفعول)

جاء في قوله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[68]، فـ (حكيم) هنا بمعنى (محكم) وقال: (حكيم) ولم يقل : (محكم) وأن أراد معنى اسم المفعول لأن بـ (حكيم) دلالات لا تتوفر في (محكم)، ومنها:

1- أن (حكيم) تدل على أن الأمر محكماً على وجه الثبوت أو قريب من الثبوت، لا يتغير بزيادة أو نقصان، فكان حكيم ابلغ من (محكم) في هذا الموضع.
2- يقال: هذا أمر محكم، فقد يكون محكم أو لم يحكم بعد بمعنى: أنه سيحكم، أما: أمر حكيم، فقد احكم وانتهى، اي: أن الأمر قد اتصف بذلك على وجه الحقيقة، وذلك كقولك: رجل جريح لمن جُرِحَ فعلا.
3- أن وصف الأمر بـ (حكيم) اشد من وصفه بـ (محكم) ، ففي (حكيم) دلالة على شدة الاحكام، أما محكم فقد يكون احكامه شديداً، أو ضعيفا [69].

أما لفظة (امين) فقد جاءت في موضعين من سورة الدخان: أولهما: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[70] أمين: اي مؤتمن عليكم، أو على الرسالة التي جئت بها إليكم، وأمين بمعنى مؤتمن دلت على ثبات وصف الامانة في الموصوف حتى كأنه صار سجية له، وهو متصف بهذه الصفة قبل هذه الحادثة؛ بدليل استعمال لفظة (ادوا) فهو قد اؤتمن من الباري على الوحي والرسالة، فأمانته ليس أمراً سيعرفونه وإنما هي واقع معروف عندهم، فأمين دلت على شدة وقوة امانته [71].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [72]

فالامين هنا بمعنى: الآمن، أي: الآمن ساكنه [73]

فالساكن في هذا المقام امن وقال امين لأن امين دلت على أن الامان ثابت في الحال وليس طارئا او حادثا في المستقبل [74]

ج- صيغة (فعيل) مبالغة في الصفة:

وقد وردت بهذا المعنى في عدة مواضع في سورة الدخان منها قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [75]

فهو (السميع) الذي يسمع كل شيء و(العليم) بكل شيء من احوال العباد واقوالهم وافعالهم حتى ما يخالجهم من مشاعر وأحاسيس داخلية ونوايا مكتومة لم يطلع عليها احد، فالسمع والعلم صار في الموصوف سجية ثابتة كالطبيعة لكثرة تكرار ألأمر منه وتبحره فيه [76].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[77]، (أليم) مبالغة (مفعل) للدلالة على شدة الالم وقوته [78] .

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾[79]، فالأثيم: من استقر فيه (الاثم) وصار سجية له وطبعاً لمداومته على المعصية واكثاره منها [80].

د- صيغة فعيل وصف لدلالة على الثبوت والدوام:

تأتي صيغة (فعيل) وزناً من أوزان الصفة المشبهة وقد وردت بهذه البنية في سورة الدخان في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [81]، والمراد بالرسول هنا موسى عليه السلام وصفته: أنه كريم ((على الله أو في نفسه لأن الله لم يبعث نبياً إلا كان أفضل نسباً واشرف حسباً على أن الكرم بمعنى: الخصلة المحمودة))[82] ، فالكرم إذا وصف به الانسان ((فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه ، والكرم لا يقاس إلا في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا في تجهيز جيش في سبيل الله))[83].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[84] ، ((فالكريم من كل نوع أنفسه وخيره، والمراد بها المساكن والديار والاسواق ونحوها))[85]

إن صيغة (فعيل) في الصفة المشبهة تدل على ثبوت الصفة في المتصف بها ودوامها، وهذه الدلالة هي اهم ما يميز هذا البناء [86].

هـ- وضع (اسم المرة) موضع المصدر

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[87]، والنعمة بالفتح: التنعيم، فإن كان الفعل (انعم) فقياس مصدره (الانعام) وأن كان الفعل (تنعم) فقياس مصدره (التنعم)[88] .

لكن التعبير القرآني لم يستعمل أيا من المصدرين وإنما استعمل (نعمة) وهي (اسم مرة) للتنعم، وليس المراد به المرة وإنما اريد المصدر، فقد لا تكون (الفعلة) مرة وإنما توضع موضع المصدر مثل: الرجفة والرحمة، فلفظ (النعمة) جيء به لاعتبار مجموع احوال النعيم كالشيء الواحد وهو أبلغ واجمع في معنى المصدر وهذا هو المناسب للفعل (تركوا) في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[89] ؛ لأن المتروك هو أشخاص الأمور التي ينعم بها [90].

ز- استعمال لفظين من مادة واحدة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [91]، فـ((الموت) و(المؤتة) مصدران من فعل واحد كالنفخ والنفخة، إلا أن الموتة أخص من الموت لأن الموتة للوحدة والموت للجنس فيكون بعضا من جنس الموت وهو فرد واحد ونفي

الوحدة ابلغ من نفي الجنس فكانت اقوى وأنفى في نفي الموت عن أنفسهم، كأنه قال لا يذوقون فيها شيئاً من الموت يعني أقل ما نطلق عليه اسم الموت والاستثناء منقطع اي لا يذوقون الموت في الجنة لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة))[92]

ثالثاً: المفردة الفعلية

أ – استعمال خاص لبنية الفعل (فعّل، أفعل):

جاء في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[93]؛ فقد أتى بالفعل (أنزلنا) ولم يأت بـ (نزلنا).

فالتنزيل: يختص بالموضع الذي يُشِيرُ فيه إلى إنزاله مفرقاً مرة بعد مرة والإنزال: أعم من التنزيل ويشير إلى الانزال دفعة واحدة أو الانزال بالتدريج.

وهنا برز سؤال: لماذا استعمل الانزال هنا مع أن القرآن كان ينزل نجوماً متفرقة.

إن الانزال استُعمِل لأن المراد بالاية ابتداء الانزال في هذه الليلة المباركة، أو المراد أنه تعالى انزله في هذه الليلة إلى البيت المعمور دفعة واحدة ثم كان ينزل على النبي (6) متفرقاً فيما بعد في ثلاث وعشرين سنة [94].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أن القرآن الكريم إذا أراد الاهتمام والمبالغة بالمنزل استعمل التنزيل، مما استعمل فيه(التنزيل)يكون اهم مما استعمل فيه (الانزال)[95].

ولعل مطلع سورة الدخان ينبئ بأنَّ الاهتمام لم يكن منصباً على المنزل بل انصب على (الليلة) المباركة التي دل على الاهتمام بها عدة امور هي: تنكيرها للتعظيم، ووصفها بالمباركة للتنويه بها ولبيان شرفها فدل على عظم شأنها بإنزال القرآن فيها، وفيها يفرق كل امر حكيم، فبركة الليلة بركة قدرها الله بنزول القرآن ليكون نزول القرآن فيها ملابساً لوقت مبارك فيزداد ذلك فضلا وشرفا [96].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[97]

وفي سورة الشعراء قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [98] مع سياق الآيتين متقارب إلا أنه استعمل في سورة الدخان (نجّى) وفي الشعراء (انجى) ، وقد اوضح الفرق الدكتور فاضل السامرائي بين (نجّى وأنجى) بأن (نجى) يستعمله القرآن الكريم إذا كان هناك تلبث أو تمهل في التنجية أما (أنجى) فهو للإسراع فيها، فـ(انجى) اسرع من (نجّى) في الخلاص من الشدة والكرب [99].

وفي سورة الدخان (العذاب المهين) الذي تم انجاءهم منه هو الذي كان يذيقهم إياه فرعون كقتل الابناء واستخدام النساء والاتعاب في الاعمال الشاقة.

أما في سورة الشعراء فيجدر بنا في البدء قراءة النص القرآني كاملاً ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ*قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ*فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ*وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ*وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾(100) .

أنظر إلى هول الامر وعظمة الموقف الذي هم فيه فالبحر أمامهم وفرعون وجنده خلفهم فهو أحوج الى السرعة في الإنجاء فاستعمل هنا (انجى) ولم يستعمل (نجى).

ولعل التدقيق في الايتين المباركتين يكشف لنا فضلا عن معنى الاسراع في (انجى) والتمهل في (نجى)، أن الشدة والكرب كلما كان عظيما مهولا شديداً جاء الاستعمال القرآني بلفظ (انجى)، أما المواضع التي يستعمل فيها (نجّى) كان الكرب أقل شدة واخف هولاً (101). ومن ذلك ما جاء في سورتي الدخان والشعراء؛ ففي الدخان نجد أن بني اسرائيل كانوا واقعين في عذاب فرعون وملائه المهين فقط، أما في سورة الشعراء كانوا في مواجهة كرب وشدة اعظم فالبحر أمامهم وفرعون وقومهم يريدون قتلهم والتنكيل بهم لدرجة أن بني اسرائيل ظنوا أنهم مدركون، وكان هذا ظنهم جميعاً إلا موسى عليه السلام المؤيد بالايمان واليقين والنبوة والعزم الالهي موقناً بمعية الله.

ويذكر الدكتور فاضل السامرائي أن الاستعمال القرآني قد يستعمل في القصة الواحدة مرة (أنجى) وأخرى (نجى) كما في قصة ثمود، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(102)، وقال مرة أخرى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(103).

ويبرر ذلك الدكتور فاضل السامرائي بقوله: (إن ذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام، فقد يتطلب المقام ذكر الاسراع فيستعمل (أنجى) وقد لا يتطلب ذلك فيستعمل (نجى)، وكل ذلك صحيح، فقد نستطيل أمراً وقد نستقصره بحسب المقام، فقد نقول في مقام (الدنيا طويلة) وقد تقول في مقام اخر (الدنيا قصيرة) ولكل مقام مقال))(104) .

ولاريب إن المقام إذا كان شديد الهول والكرب عظيم البلاء، فإننا نستثقله ونشعر بطول وثقل لحظاته ونتلهف إلى النجاة منه سريعاً أو أسرع من مقام اخر قد يكون أقل بلاءً وألماً وهولاً، ولذلك نجد أن الاستعمال القرآني استعمل في ألايى الاولى من سورة (فصلت) لفظ (نجينا) وفي الثانية من سورة (النمل) لفظ (أنجينا) وأن كان سياقهما يبدو متشابهاً، وذلك لأن سياق (فصلت) كان أخف وطأة وأقل بلاءً فقد جاء فيهما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[105]

فالتنجية في الآية الاولى كانت من صاعقة العذاب ، أما سورة النمل فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[106]

فالإنجاء في الايات المباركة كان من قوم ثمود الذين تقاسموا بالله على استئصاله، واستئصال أهله ومن التدمير الذي لحق بهم وبمساكنهم فكلما كان المقام شديداً عظيماً استلزم الاسراع في الانجاء.

ب- البناء للمجهول:

نلاحظ أن الاستعمال القرآني قد يستعمل الفعل مبنيا للمعلوم وقد يستعمله مبنيا للمجهول في موضع آخر.

وفي هذا المجال يبرز الدكتور فاضل السامرائي خطاً واضحاً وظاهرة بينة في التعبير القرآني، وهي ((أن الله سبحانه يذكر نفسه ويظهر ذاته وتفضله في الخبر العام بخلاف الشر والسوء فأنه لا يذكر فيه نفسه تنزيهاً لها عن فعل الشر وإرادة السوء))[107] أي أنه يَبنِ الافعال الصادرة منه ﷻ في مقام الخبر للمعلوم، ويبنيها في مقام الشر للمجهول.

ومن هذا الباب فعل (الايتاء) فإن كان المقام مقام مدح وثناء، اظهر ذاته ونسب الايتاء إلى نفسه ، كما جاء ذلك في سورة الدخان في قوله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾[108]

فالايات التي مُنِحت لبني اسرائيل آيات عظيمة ونعم جمة وهي: خلق البحر، تخلصهم من فرعون، تظليل الغمام، انزال المن والسلوى وغيرها من الايات القاهرة التي ما اظهر الله مثلها على أحد سواهم [109] . ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[110] ، فالمقام

مقام مدح وثناء، والايات التي اتاهم هي نعم عظيمة وخير عظيم. فلم يأت بفعل (الايتاء) مبنياً للمجهول، لأن المقام مقام مدح وثناء وبيان للخير والنعم [111] .

وهذا الخط الذي تلمسه الدكتور فاضل السامرائي لم يكن واضحاً في جميع الامثلة القرآنية التي استدل هو بها من ذلك قوله: ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[112] ، وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ* هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[113]. باسناد الامر إلى ذاته في مقام المدح في حين قال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [114] في مقام الذم استعمل فعلاً مبنيا للمجهول [115] .

ولكن الفعل (أورث) ورد مبنياً للمجهول في مقام الخير والمدح والثناء في قوله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[116] .

وقوله في سورة الزخرف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[117] .

ويذهب صاحب المفردات إلى أن من حصل له شيء من غير تعب يقال له: قد وَرِثَ كذا، ويقال لمن خُوِل شيئاً مهنئاً (اورث)، كما ورد في الايات المذكورة سلفاً [118].

فالسياق هو الذي يحدد استعمال الفعل مبنياً للمعلوم أو مبنياً للمجهول فقد يقتضي هذا وقد يقتضي ذاك، وهذا ما قرره الدكتور السامرائي في نهاية حديثه عن الظاهرة اجتهد في اثباتها [119].

كما أنه في كتابه (بلاغة الكلمة) اهتم بخصوصيات السياق ودلالته دون أن يطلق حكماً عاماً أو يقرر ظاهرة بينة تعم التعبير القرآني، وذلك في ثنايا حديثه عن البناء للمجهول [120] .

المبحث الثاني

التأليف القرآني

التأليف هو جمع الاشياء الكثيرة بحيث تنتظم تحت مسمى واحد، على أن تكون هذه الاشياء مؤتلفة بدليل اشتقاق لفظ التأليف من الالفة [121] .

وتأليف كتاب يعني: ((جمع لفظ إلى لفظ ومعنى إلى معنى حتى يكون كالجملة الكافية فيما يحتاج إليه))[122]

ولاريب أن التأليف القرآني ببداعة نظمه وفصاحة ألفاظه وجه من وجوه الاعجاز القرآني، وهذا الاعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، فقد انتظمت مفرداته واعتدلت مركباته فجاء فصيحاً بديعاً معجزاً في احسن نظوم التأليف [123].

أولاً: الجملة الاسمية والفعلية، ودلالتها :

إن تأليف الجملة العربية يكون بصورتين تبعاً للمسند: فعل مع اسم، أو اسم مع اسم، فالجملة التي مسندها فعل إنما تدل على الحدوث تقدم الفعل أو تأخر، والجملة التي مسندها اسم تدل على الثبوت [124].

وذلك لأن الفعل مقيد بالزمن، وكل ما كان زمانياً فهو متغير والتغير يشعر بالتجدد، أما الاسم فله دلالة على الحدث دون زمانه فموضوعه على أن يثبت به الحدث للشيء من غير أن يقتضي تجدده [125].

ومما جاء جملة فعلية مسندها فعل في سورة الدخان قوله تعالى. ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[126]، والذي يغشي الناس هو الدخان[127]، وهذا العذاب (الدخان) الذي يغشاهم ليس أمراً ثابتاً أو دائماً بدليل أنهم دعوه: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [128] فاجابهم بقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾[129] فهذا العذاب كان إنذاراً لهم لعلهم يؤمنون فلما وعدوا بالايمان كشفه الله عنهم ولم يبقه دائم عليهم [130].

والعذاب الذي وعدوا به (أي الدخان) كان من عذاب الدنيا، والدنيا دار فناء لا دوام ولا ثبوت لحوادثها بل هي في تجدد وتغير دائم.

أما العذاب الواقع في الآخرة جاء به التعبير القرآني بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾[131] ، فاستعمل الجملة الاسمية الدالة على الثبوت عند وصفه عذاب الاخرة، فهي دار بقاء.

وفي مقام الاثابة والتكريم في الاخرة استعمل الجملة الاسمية أيضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾(132) .

فيصف لنا صورة من صور الجنة واحوال المتقين ومقاماتهم الآمنة وهذه الصور والأحوال والمقامات استحقوها بثباتهم على الايمان والطاعة وهي ثابتة لهم كثبوت إيمانهم.

ومما جاء بالجملة الفعلية قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (133) فقال: (يلعبون) ولم يقل: بل هم في شك ولعب ((إذ افيد أن الشك حامل لهم على الهزء واللعب، وأن الشغل باللعب يزيد الشك فيهم رسوخاً بخلاف ما لو قيل: بل هم في شك ولعب (134) ، فالجملة الفعلية دلت على أن هذا اللعب في حدوث وتجدد منهم.

وقد يأتي بالجملة الاسمية مع أن الأمر لم يحدث بعد ومع ذلك يأتي بالاسم للدلالة على ثبوت الامر وكأنه قد تم واتصف صاحبه به وأن لم يكن كذلك كقولك: جواباً لسائل: أتراه سيفشل ؟ هو فاشل، وذلك لوثوقك بما قررته وكأن الأمر قد تم وحصل وأن لم يحصل فعلا (135).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾(136).

فقال: إنكم متبعون، بالجملة الاسمية، مع أنه لم يسر بهم بعد ولم يتبعهم قوم فرعون، ولكنه جاء بلفظ الاسم حتى لكأن الامر تم وحصل وذلك لأن قوم فرعون سيتبعونهم لا محالة.

ثم قال: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾(137) .

استعمل الجملة الاسمية واخرج الامر مخرج الامر الحاصل فكأنهم اغرقوا وانتهى الأمر، ليدل بذلك على أن الأمر ثابت ونافذ ولابد أن يكون (138).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾(139) .

فكشف العذاب لم يقع بعد، وهم لم يعودوا ، وإنما المعنى فإنهم لما سمعوا (أنا كاشفوا العذاب) تطلعوا إلى ما سيكون بعد كشفه وتطلع المؤمنون إلى ما تصير إليه حال المشركين بعد كشف العذاب فكان قوله : (إنكم عائدون) مبينا لسؤالهم.

فكأن الامر وقع وتم واستقر وصيغتي الفاعل (كاشف) و(عائد) أفادت تحقق حصول الامر في المستقبل وكأنه قد حصل أصلا (140).

بخلاف لو استعمل الفعل فقال: (تكشف) و(تعودون) لأن اسم الفاعل ادوم واثبت من الفعل (141).

- **الجمع بين الجملتين الاسمية والفعلية في آية واحدة**

قال تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (142)

إن جملة (لا اله الا الله) الاسمية وهي كلمة التوحيد، والدليل على انفراده بالالوهية، فهو الاله الواحد، وثبوت الالوهية له وبطلانها عمن سواه ممن كان يشركون بهم، من الحقائق الثابتة التي تؤديها الجملة الاسمية لما فيها من معنى الثبوت والدوام.

بخلاف قوله (يحيى ويميت) فالاستدلال بالاحياء والإماتة والتفرد بهما، فهو يوجد الحياة في الجماد ويوجد الموت في الحيوان، وإيجاده الحياة بالولادة والموت بالوفاة يوماً فيوماً أمراً متجدداً حادثاً تناسبه الجملة الفعلية وما فيها من معنى الحدوث والتجدد (143).

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(144) جاء ذكر نعيم الجسد بالجملة الفعلية لأن هذا النعيم متغير لا يشوبه ثبوت فهم يغيرون الالبسة وانواع الالبسة.

ولعل نعيم الاجساد تتضاءل قيمته أمام نعيم النفوس فلم يحتج إلى الدلالة على ثبوته ودوامه لأن النفوس أن كانت متنعمة مرتاحة لم تأبه إلى صنوف الالبسة والاطعمة وغيرها من الأمور التي تأتي بمرتبة متأخرة عن اطمئنان النفس وارتياحها (145).

ومجيء نعيم الاجساد بوصف واحد موجز ايجاز بديع وهو (متقابلين) ليحمل من دلالته أولا الثبوت والدوام للمتنعمين بهذه النعمة، فالمتقون في الجنة يكون حالهم التحبب والاجتماع والتقابل في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض فهم متواجهين لا ينظر بعضهم إلى بعض لدوران الاسرة بهم فهذا أتم للانس.

ولعل المراد هنا بالتقابل ما فسره بعضهم أنهم متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد وهذا التقابل صفة ثابتة لأهل الله في الدارين حيث أنهم في الجنة وهم في الدنيا (146).

ومثل ذلك يمكن القول في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾(147) ، فقد جيء بنعم الجسد موصوفاً بجملة فعلية لتنوعه وعدم ثبوته فهم يدعون بالفاكهة باوقات مختلفة ومتكررة ويدعون باصناف متنوعة من الفاكهة ف(كل) افادت الكثرة الشديدة أو الاحاطة بكل صنوف الفاكهة.

أما نعيم النفوس لخصه بلفظ واحد (آمنين) يدل على ثبوت هذا الامن من كل ما يمكن أن يمسهم بسوء.

فهم آمنون حتى من الاكثار من تلك الفواكه على خلاف الاكثار من الطعام في الدنيا وآمنون من نفاذها او انقطاعها (148) .

ثانياً: التعريف والتنكير

أن تنكير لفظة ما لا يأتي إلا لأغراض عدة، منها: القصر إلى الفرد من الجنس، القصد إلى النوع من الجنس، التكثير، التحقير، التهويل، التعظيم [149].

ومن ذلك ما جاء في سورة الدخان في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[150]، فقد جاءت لفظة (ليلة) نكرة للتعظيم، فقد استدل الشيخ ابن عاشور على أن هذه الليلة عظيمة بعدة امور منها: تنكيرها، وصفها بـ(مباركة)، إنزال القرآن فيها ويفرق كل امر حكيم فيها [151].

ذهب اكثر المفسرين إلى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر [152] ، ونجد أن لفظة (ليلة) جاءت نكرة في سورة الدخان، ولم تعرف بينما في سورة القدر عرفت لفظة (ليلة) بإضافتها إلى لفظة (القدر) على الرغم من تشابه سياق السورتين، فقد جاء في صفة ليلة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[153] .

وفي سورة الدخان وصفت (الليلة) بقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[154]

وفي سورة القدر قال: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ [155] . وفي الدخان قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [156]

ولكن سياق الدخان يتطلب التنكير بخلاف سياق سورة القدر الذي استوجب التعريف وذلك لعدة أسباب منها:

- أن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

إن المقصود من هذه الآيات تعظيم القرآن من عدة أوجه: احدها: بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه، فهي (الليلة المباركة) بنزول القرآن فيها وصارت فارقا بهذا التنزيل ففيها يفرق كل امر حكيم، أو انه جل شأنه يفرق فيها من كل امر حكيم، وهذا استلزم تنكير لفظ (ليلة) لتعظيمها ولأنها ليست موضع البيان.

أما سورة القدر فالسورة المباركة كانت تتحدث عن ليلة القدر من أولها إلى منتهاها وتبين شرفها وما يحدث فيها فكانت (الليلة) هي موضع البيان ومصب الحديث والله اعلم.

ومن ذلك أيضا مجيء لفظة (جنات) نكرة في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[157] فـ(جنات) نُكرَت لعظم قدرها فلا يقدر الواصفون على وصفها [158] .

ولكن لفظة (جنات) في سورة القلم عرفت بالاضافة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[159] وذلك لتمييزها من بين أصناف الجنات المذكورة في القرآن

الكريم[160]، ولكن لماذا لم تميز لفظة (جنات) في سورة الدخان ويعرف بها بين انواع الجنات الاخرى، وذلك لأن سياق سورة القلم استلزم التعريف تمييز نوع الجنات التي وعد بها المتقون بجنات النعيم وهو النعيم الذي لا يشوبه كدر بخلاف نعيم الدنيا فهو نعيم لا يفارقها إذ ليس فيها إلا هو، لأن كفار قريش كانوا يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المسلمين قالوا:

إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا وأقسى أمرهم أن يساوونا [161]، فجاءت الآيات المباركة عليهم وإنكاراً لقولهم بقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[162] هذا الحكم الاعوج، فتعريف جنات النعيم جاء سياق الرد على هؤلاء وتكريم المسلمين وبيان علو ورفعة شأنهم.

- **التعريف بـ (ال):**

إن تعريف (الكتاب) في قوله تعالى : ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [163] ، تعريف العهد، والمراد بالكتاب: القرآن[164] والعهد هنا عهد ذهني، والعهد الذهني هو: أن يتقدم لمصحوب (ال) علم للمخاطب به، وذلك كأن تقول: لصاحبك: (اشتريت الكتاب)، فلابد أن يكون للمخاطب علم بالكتاب المقصود ، أما أن يكون رآه ، أو سبق ذكره له [165].

وترد لفظة(كتاب) في موضع اخر من القرآن الكريم نكرة في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[166] ، فالكتاب المسطور المكتوب هو القرآن أو التوراة أو ما كُتِبَ في اللوح المحفوظ أو صحائف الاعمال [167].

فعرّف في الدخان، ونُكّر في الطور، لأن:

- المقصود بـ (الكتاب) في الدخان، القرآن خاصة بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [168] .

والقرآن المبارك هو الذي خُصَّ بالنزول في هذه الليلة المباركة والتي ورد ذكرها أكثر من مرة في القرآن الكريم.

أن لفظ (كتاب) ورد بعد (حم) التي قيل في تفسيرها إنّها (مجموع القرآن)[169] فبينما لفظ (الكتاب) في سورة الطور فيحتمل القرآن لأنه كتاب أيضاً، ويحتمل التوراة، لأنه ذُكِر بعد لفظة (الطور) وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام ، ويحتمل الصحائف التي تخرج لبني آدم عليه السلام ، فاخذ كتابه بيمنه وأخذ كتابه بشماله [170] بدليل قوله تعالى في الآية التالية : ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ . والرق: جلد رقيق يصلح للكتابة، وقيل: هو الورق أو الصحيفة، وذُكِرَ الرق لأنه من أحسن ما يكتب عليه [171].

فجاء بلفظة (كتاب) نكرة لأنه لم يقصد كتاباً بعينه .

- **التعريف بالإضافة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ*فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ*أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ*رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[172]

إن ((إضافة الرب إلى ضمير الرسول 6 ليتوصل إلى حظ له في خلال هذه التشريعات بأنه ذلك كله من ربه، أي بواسطته فإنه إذا كان الارسال رحمة كان الرسول 6 رحمة. قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[173] ولا يعلم من كونه رب الرسول 6 أنه رب الناس كلهم إذ لا يكون الرب رب بعض الناس دون بعض فأغنى عن أن يقول : رحمة من ربك وربهم، لأن غرض إضافة رب إلى ضمير الرسول 6 يأبى ذلك، ثم سيصرح بأنه ربهم في قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[174]))[175] .

ثم وإضافة (رب) إلى ضمير المخاطبين هنا ليسجل عليهم جحودهم وكفرهم بالنعم[176].

ثم أضيفت لفظة (رب) في آية أخرى من سورة الدخان 6 (السماوات) في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[177]،

ذكر الربوبية إجمالاً في قوله تعالى ((رحمه من ربك)) ثم تفصيلا في ((رب السموات والارض وما بينهما)) وذلك لمواجهة المشركين وتذكيرهم وإقامة الحجة عليهم ببطلان إلهية الاصنام، فلما لم يكن هناك مجالاً للشك في أنه ﷻ هو الاله الحق ختمت الآية بجملة ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ تنزيلا لهم منزلة المشكوك بيقينهم لعبادتهم غيره[178].

أما لفظة (عذاب) فقد أضيف إلى لفظة (حميم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[179] .

إضافة (العذاب) إلى (الحميم) ببانية فالمعنى: ((ثم صبوا فوق رأسه من الحميم الذي يعذب (الاثيم) به))[180].

فالمراد بيان نوع العذاب، فالذي يصب الماء وليس العذاب لأنه ليس من الاجسام المائعة، فـ ((فعل الصب لا يتعدى إلى العذاب لأنه أمر معنوي لا يصب فالصب مستعار للتقوية والاسراع فهو تمثيلة اقتضاها ترويع الاثيم تهويلاً بخلاف قوله ((يصب من فوق رؤوسهم الحميم)) الذي هو اخبار عنهم في زمن هم غير سامعيه، فلم يؤت يمثل هذه الاستعارة إذ لا مقتضى لها))[181]

فالعذاب الوارد في سورة الدخان كان مخصصاً بشخص معين لترذيله وترويعه والسخرية منه وهو (ابو جهل) فهو القائل ((أيوعدني محمد والله لأنا اعز من مشى بين جبليها))[182]، فكان يرى في الدنيا لنفسه عزة وكرامة لا تفارقانه، فجاءت الايات الكريمة تصور مقامه عند الله في الآخرة وكيف يكون التعامل معه بالشد والجذب والدفع والعتل والكي والشي والتأنيب والترذيل الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[183]

فإضافة العذاب إلى الحميم لبيان العذاب كصورة من الصور التي سيقت لترويح المخاطب واختتام هذه الصور بصيغة ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾بطريقة تهكمية ولكن بعلاقة ضدية فالمقصود عكس المدلول، أي: أنت الذليل المهان، والتأكيد للمعنى التهكمي ، وهذا جزاء من كان يتلبس لباس العزة والكرامة وهو ابعد ما يكون عنهما [184].

ثالثاً: العدول:

عدل عن الشيء: أي مال عنه إلى غيره، عدل عن الطريق، أي مال عنها.

فالعدول: هو ترك الامر والعدول عنه إلى أمر اخر غيره [185].

والتعبير القرآني قد يعدل من أمر إلى آخر أو من لفظة إلى أخرى أو من معنى إلى ضده أو من أسلوب إلى اسلوب، وهذا العدول لا يكون ذوقيا أو عبثيا وإنما لعلة مفيدة ونكتة نافعة يستوجبها السياق ويتجاذبها المعنى، وفي الصفحات القابلة سيعرض البحث بعض مواضع العدول في سورة الدخان المباركة.

- **العدول من التبشر إلى الانذار:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[186] فجاء بـ(الانذار) ولم يستعمل (التبشير) و((الانذار: اخبار فيه تخويف كما التبشير اخبار فيه سرور))[187]، فالمنذر: هو المُخبِر بأمر فيه ضر لقصد أن يتقيه المُخبَّر به، والتعبير القرآني استعمل الانذار ولم يستعمل التبشير وجعله عِلّة لانزال الكتاب، أي: أنزلناه للإنذار لأن من شأننا الانذار والتخويف من العقاب، واستعمل الانذار تعليلا لانزال القرآن مع أن القرآن فيه انذار وفيه تبشير لأجل الاهتمام بالإنذار لأنه مقتضى حال الجمهور يومئذ [188].

فضلاً عن ذلك نلاحظ أن سياق السورة بصورها العنيفة وظلالها الموحية وحدة متماسكة ذات محور واحد يعرض لمشهد القيامة ومصارع الغابرين والمشاهد الكونية التي هي كلها وسائل ومؤثرات تهدف لايقاظ القلب البشري وتنبهه من غفلته، وهذا السياق والجو

العام للسورة ناسبه استعمال (الانذار) وإيثاره على (التبشير) لأن غرض الصورة يتلخص بانذار المرتابين في الكتاب بعذاب الدنيا والاخرة [189].

- **العدول من (مقام كريم) إلى (مقام امين)**

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ* وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ* كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[190] .

ثم قال في اخر السورة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ* كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ [191].

فالمقام الموصوف في النص القرآني الاول مقام دنيوي والمراد به المجالس والمنازل الحسنة والمنابر التي كانوا فيها والقائمين فيه هم قوم مجرمون وهو فرعون واتباعه، فالمقام الكريم المرفه الذي كانوا يقيمون فيه لم يكن آمنا بدليل أنهم قد تركوه وأُغرِقوا يجرمهم [192].

أما النص القرآني الثاني فقد وصف مقاماً وعد به المتقون في الآخرة فجزاء المتقين كانت أبرز سماته الامان فهو أهم شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يطلب الأمن وهو السلامة من المخاوف والمكاره، فالمقام الامن مقام كريم وليس كل مقام كريم هو امين، ويركز التعبير القرآني على صفة الامان فهو يذكرها مرتين في النص القرآني في بدايته وفي نهايته يقول : ((يدعون بكل فاكهة امنين)) فالامن المراد هنا امن خاص غير المذكور في أول النص، فهو الامن من الغوائل والآلام من تلك الفواكه حتى وأن أكثروا منها على خلاف حال الإكثار من الطعام في الدنيا [193].

- **العدول من (الاشارة إلى البعيد) إلى الاشارة إلى القريب.**

ذهب الفراء في معانيه إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[194] ذلك عذاب، ولكن المراد (هذا) وليس (ذلك) لأن الباري ﷻ أنزل العذاب منزلة القريب منهم الواقع بهم لا محالة، كقولك: هذا العدو فاستقبله، والغرض منه التنبيه على القرب للتخويف، فالعذاب الذي يوعدهم به وأن كان أمراً حاضراً واقعاً زيادة في التأكيد على دنوه واقترابه[195].

ولعل ما في الفعل (ارتقب) بقرب الاتيان بالدخان، ناسبته الاشارة بـ(هذا) العذاب الذي أوعدهم وهو الدخان.

- **العدول من الاضمار إلى الاشارة**

ذهب صاحب التحرير والتنوير إلى أن (هذا) في قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [196]، هو عدول من الاضمار إلى الإظهار، وأن يُقال : هو عذاب اليم، والغرض

منه هو إنزال العذاب منزلة الحاضر المشاهد الواقع تهويلاً وتخويفاً للمخاطبين، كأن تقول: هذا الشتاء قادم فاعد له (197).

- **العدول من (اللغة) إلى (اللسان)**

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (198) ولم يقل: بلغتك، فاطلاق اللسان، وهو اسم الجارحة في الفم على اللغة مجاز شائع، فيقال: لكل قوم لسان ولسن، اي: لغة (199).

والمتتبع لأي القرآن الكريم يلاحظ أنه لم يستعمل لفظة (لغة) وكلما اراد معنى اللغة استعمل لفظة (اللسان) بدلاً عنها (200) بقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(201) ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ (202) .

والعدول عن لفظة (اللغة) احترازاً عن مافي (لغو) من معنى الساقط والباطل وغير المعتد به من كلام وغيره وما ليس فيه فائدة ولا نفع فكل ما اسقط لم يعتد به فهو ملغي ويلغى لغا: اخطأ وقال باطلا (203).

فاستعمل لفظ (اللسان) بدلاً من لفظ (اللغة) حتى لا يمس القرآن الكريم الذي جاء بلسان النبي (6) ولا يتطرق للنبي (6) أو القرآن الكريم بأي معنى من معاني لفظ (اللغو).

- **العدول من المفرد إلى الجمع**

قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (204) وقال في موضع اخر من سورة الدخان: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾(205)، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (206)، فاستعمل (السماء) من الآية الأولى مفردة والآيتين التاليتين جمع، فالسماء في الآية الأولى (أعم) وذلك لسببين:

1- السماء في القرآن يستعمل لمعنيين فهي إما أن تكون واحدة السماوات أو تكون لكل ما علاك من سقف، أو سماء، أو مطر، أو جو، وعليه فالسماء بالمعنى الثاني أعم واشمل من السماوات لأنها تشمل السماوات وغيرها مما علا وارتفع (207) .
2- العمومية المتحققة بلفظ (السماء) لشمولها السماوات وغيرها ناسب سياق الآية الاولى، فقوله ((فما بكت عليهم السماء)) تهكم بالكفار وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقد كانت العرب إذا مات فيهم من له خطر وقدر عظيم، يقولون: بكت عليه السماء والارض يعني أن المصيبة بموته عمت الخلق فبكى له الكل حتى الارض والسماء(208)

فالمعنى المراد هو العمومية والعمومية متحققة بلفظ السماء المفرد لاشتماله على معنى السماوات وزيادة أو ضمنها.

أما ما جاء في الآيتين الاخيرتين بلفظ (السماوات) بالجمع، فلم يرد ﷻ فيها العمومية بل العكس أراد أن يخص كل شيء بلفظة فذكر (السماوات والارض) و(ما بينهما) لأن المقام مقام استدلال واثبات التفرد بالربوبية والخلق، فذكر السماوات والارض اولا ثم جاء بلفظ (ما بينهما) زيادة في التوكيد والتبليغ بأنه خالق كل شيء ورب كل شيء(209).

ومن العدول من (المفرد) إلى (الجمع) ما جاء أيضا في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(210) مع أن المخاطب هو فرعون ولكنه خاطبه بلفظ الجمع ليضم له قومه ومن حضر معه من ملئه لعلهم يشيرون على فرعون بالحق، أو لعله لم يخاطب فرعون أصلاً بل خاطب مجموع الملأ لما رأى صلف وتكبر فرعون عن الامتثال للباري، فخاطب أهل مشورته لعل فيهم من ينصر الحق (211) .

وذهب بعضهم إلى أنه نداء لهم على: أدوا إلى عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي (212) .

ومن العدول من المفرد إلى الجمع: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(213)

المخاطب في الاية المباركة هو الرسول الاعظم محمد 6 وخوطب بلفظ الجمع كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (214) ، وقوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (215)

فكل خطاب للنبي 6 بلفظ الجمع أُريد به تفخيم وتبجيل مقامه المبارك 6، فقد ورد كثيراً في كلام العرب أن يجمع فعل الواحد ، فاسناد الفعل إلى ضمير الجمع تكريما للنبي 6 وتعظيما له وعلواً لشأنه .

ومن العدول من المفرد إلى الجمع ايضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾(216) ، فقال: تمترون ولم يقل: تمتر على الرغم من أن الخبر مستعمل في توبيخ الآثمين، فاستعمل لفظ الجمع ليكون الخطاب لجميع الائمين، فالجمع باعتبار المعنى، لأن المراد: جنس الاثيم (217) .

رابعاً: الحذف والذكر

كل ما يدل على معنى في الكلام أصله أن يُذكر لتأديه المعنى المراد ولكنه قد يحذف على الرغم من أن أصله الذكر وذلك حسب السياق وما يقتضيه، فالتعبير القرآني قد

يحذف حرفاً أو اسما أو فعلاً وكل ذلك لا يكون إلا لعلة أو غرض فيه غاية الفن والجمال في التعبير القرآني.

فقد يحذف القرآن حرفاً من كلمة ما لغرض ما ويذكر هذه الكلمة كاملة من غير حذف في موضع آخر يبدو شبيهاً بسابقه، وذلك لأن السياق اقتضاه [218] .

فقد تحذف (ياء المتكلم) من الفعل ويعوض عنها بالكسرة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [219]

فقال (ترجمون) بالكسر ولم يقل (ترجموني بالياء) يذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أن ياء المتكلم قد تحذف ويجتزأ عنها بالكسرة في مواضع عدة لعل ابرزها مقام الايجاز والاختصار [220] .

والمقام في سورة الدخان مقام ايجاز واختصار وذلك لعدة أسباب منها:

1- أن سورة الدخان بشكل عام تتميز بإيقاع سريع متواصل وفواصل قصيرة وظلال متنوعة تتحد في سمة العنف والتتابع، وهي على قصرها تعد رحلة ضخمة في عوالم الغيب وعوالم الشهود ومصارع الغابرين والمشهد الكوني والموت والحياة وتتحدث عن قضايا مهمة كالتوحيد والبعث والرسالة[221]، فهذا القصر مع الضخ الكبير لهذه الموضوعات العظيمة يستدعي الايجاز والاختصار في مواضع عدة منها الموضع الذي نتحدث عنه.

2- وحسن حذف الياء في لفظ (يرجمون) لأن المقام مقام إيجاز فقصة موسى وإغراق قوم فرعون جاءت عرضا في مقام ضرب المثل والتذكير بأن أهل مكة سيُفتنون كما فُتِنَ قوم فرعون، فجعل ما حل بقوم فرعون إنذاراً لما سيحصل بالمشركين من القحط والبطش فأخذهم في جولة مع قصة موسى عليه السلام عارضاً إياها باختصار يناسب الغرض من ضرب المثل [222] .

3- أما سياق الاية فورد في مقام استعاذة موسى عليه السلام من فرعون وحاشيته، فموسى عليه السلام في موقف ضعف وخوف وشدة يتطلب منه الايجاز والاختصار وكذلك بدأ بمحاججتهم طلب منهم أن يؤدوا إليه بني إسرائيل ثم نهاهم عن الاعتلاء عن أمر الله وأمر رسوله.

فلما احس منهم عدم الاستجابة ولاحت عليهم علامات إضمار السوء. فضلاً عن معرفته بعادتهم في عقاب من يخالف دينهم بالقتل رمياً بالحجارة، فاستعاذ منهم ملتجئ ومستعصم بالله الذي يشتركون في مربوبيته، فاجتزأ بالكسرة عن الياء لأنه يريد أن يوجز كلامه معهم ولا يريد أن يظهر نفسه ويبرز ذاته لهم في كلامه لخوفه منهم الذي دل عليه بألفاظ شتى منها: (الاستعاذة، والخوف من الرجم، وطلب الاعتزال، وأخيرا الاخبار عن جرمهم والدعاء ليكف عنه شرهم)[223]

وذلك كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (224) بحذف الياء أيضاً.

ولعله أوجز واختصر لأنه اراد التعجيل لهم بالعذاب والمجازاة على الأجرام والاعتداء والتخويف له ولبني اسرائيل ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾(225)، فاستجيب له دعاءه وعجل لهم بالجزاء والعذاب ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (226).

4- وقد يكون الحذف لتحقيق الانسجام في فواصل الآي فإن هذه الآية تقع ضمن آيات تنتهي بنحو هذه الفاصلة: (اعتزلون، مجرمون متبعون، مغرقون، عيون)، فضلاً عن أن السورة بأجمعها تميزت بخواتيم آيات منتهية بحرف (النون أو التنوين) أو (الميم) ولا ثالث لهما، مثل (حم، حكيم، العليم، كريم، الرحيم، الزقوم الأثيم، الحميم، الجحيم، العظيم).

و(المبين، منذرين، مرسلين، موقتين، أولين)، والالفاظ المختومة بالنون ترددت أكثر في سياق السورة العام (227).

ولنفس الاسباب السابقة حذفت الياء أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾(228).

ومن الحذف والذكر أيضاً قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (229)، وفي سورة الاعراف قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (230) .

فقال في الدخان: (إنه هو السميع العليم) .

وفي الاعراف: (إنه سميع عليم).

وذلك لأن سياق الدخان خصوصيات سياقية استلزمت ذكر الضمير (هو) منها:

1- إنَّ الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (231).

فالانذار تعليل للارسال أي: أنزلناه للإنذار لأن الانذار شأننا، والرحمة تعليل للارسال أي: كنا مرسلين لأجل رحمتنا لأن الارسال بالأنذار رحمة بالناس.

وجملة (إنه هو السميع العليم) تعليل لجملة (إنا كنا مرسلين رحمة من ربك) فالسياق المتضمن الانزال والإنذار والإرسال والرحمة والسمع والعلم، فالمقام يقتضي الإظهار والإبراز على قدر الأعمال التي ذكرت في بداية السورة.

2- الغرض من الإنذار والإرسال هو الدعوة إلى عبادته جل وعلا ونبذ كل ما كانوا يشتركون به من الأصنام وغيره، وضمير الفصل (هو) أفاد حصر الإرسال والإنذار والرحمة والسمع والعلم بالله سبحانه وتعالى لا بأصنامهم التي ارسل الرسول لإجل إبطال عبادتهم لها [232].

أما ما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[233]، لم يحتج إلى ذكر الضمير وإبرازه لأنه:

1- الآية الكريمة لم تتضمن أفعالاً أو أعمالاً عظيمة تستوجب إبراز القائم بها والتأكيد عليه، فالاستعاذة تعليلاً للنزغ من الشيطان، والله سميع لاستعاذة المستعيذ عليم بحاله وتوكله وتذكره.

2- مما جاء في تفسير آية الاعراف: إنَّ عرض في قلبك من الشيطان شيء من الوسوسة فاستعذ بالله إنه سميع عليم فعدم ذكر الضمير والاكتفاء بقوله: (إنه سميع عليم) للتركيز على فعل السمع والعلم لا على فاعلهما لأن ما يعرض في القلب لا يطلع عليه إلا بسمع بالغ وعلم شديد [234].

ومن جميل الحذف والذكر أيضاً ما جاء في قوله تعالى:

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [235]، وقال في سورة المائدة: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [236].

فزاد في الدخان الضمير (هو) وجاءت الآية في المائدة بلا ضمير الغائب (هو).
وذلك للأسباب التالية:

1- إن الآية المباركة في سورة الدخان جاءت في ختام بيان جزاء المتقين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ* فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [237].

أما سورة المائدة فقد جاء فيها: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [238].

لعل ابرز ما يفرق به بين الآيتين الاطناب والتفصيل في سورة الدخان، والايجاز والاختصار في سورة المائدة، ولا ريب أن الذكر أليق في مقام الإطالة والحذف أليق في مقام الإيجاز.

2- إنَّ سورة الدخان تحدثت عن جزاء المتقين وفصلت في صنوفه ونعمة من المقام الأمين والجنات والعيون واللباس المرفه ونعيم النفوس من الاجتماع والمحبة والتزاوج، ونعيم الاجساد المأكول منها والملبوس، واخيراً الوقاية من الموت والعذاب فإظهار ضمير الفصل وتخصيص الفوز بالفضل هو قصر لإفادة معنى الكمال في هذا الفوز الذي وصف به نعيمهم، فكأنه لا فوز غيره (239).

أما ما جاء في سورة المائدة فهو جزاء الصادقين في الدنيا في قولهم وفعلهم ينتفعون يوم القيامة بصدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار موعودين بالخلود فيها وهم الراضون المرضيون الفائزون بعظيم الفوز (240)، فالصادقون وما وعدوا من جزاء في هذه الآية المباركة أدنى مرتبة من المتقين ومن جزائهم الموصوف في سورة الدخان فهم وأن فازوا إلا أن فوزهم لم يكن كفوز المتقين الذي بلغ حد الكمال فلا فوز يدانيه أو يصل مرتبته.

ومن بليغ الحذف والذكر ومناسبته للمقام ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (241)، وجاء في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (242)، فما جاء في سورة الدخان ناسبه الحذف وإن امكن الحذف ايضاً في سورة الكهف لدلالة الكلام عليه لأن ما يلبس لا يكون إلا ثياباً (243)، ولكن خصوصيات السياق في سورة الكهف استلزمت ذكر لفظة (الثياب) واظهارها لأسباب منها أن الآية المباركة جاءت ضمن الآيات الآتية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً* وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً* أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (244).

روي في سبب نزول الآيات المباركة أن مجموعة من أشراف قريش ومن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى الرسول 6 وقالوا له: إن نحيت عنك هؤلاء- يقصدون المستضعفين والفقراء من اصحاب الرسول 6- وروائح صنانهم جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، لأنه لا يمنعنا منك إلا هؤلاء.

فنزلت هذه الآيات المباركة لتوضح أن مقياس البشر ليست بالمناصب والثروات بل عندما يكون المسير في سبيل الله يتساوى الجميع فهؤلاء الفقراء يريدون وجه الله مخلصين لهم يعبدونه لذاته لا طمعاً بالجنة، وهذه أعلى مرتبة في الطاعة والعبودية (245).

فكأنَّ الآية المباركة جاءت رداً لأشراف قريش على امتهانهم للمؤمنين، فجاءت الآية لتكريمهم ووصف نعيمهم في الآخرة وجزاءهم على ايمانهم واخلاصهم، فالنعم الممنوحة لهم جاءت مشابهة لصنون الترف في الدنيا وبهارجها وزخرفها فهي تخاطب المستكبرين المنعمين المترفين في الدنيا وتبين لهم أن هؤلاء الذين استهنتموهم وسخرتم منهم، لهم مثل نعيمكم في الآخرة وافضل منه واضعاف مضاعفة.

فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ويحلون من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين على الارائك. فهذا الاطناب في بيان النعيم وترفه يناسبه ذكر لفظ (الثياب) والتأكيد على هذه الصنوف من النعم: الذهب والثياب الفاخر والمجالس وغيرها.

ويلاحظ أنَّ عذاب الكافرين جاء مطابقاً لنعيمهم في الدنيا وما كانوا يتشرفون به على غيرهم فقد كانوا يشربون انواع المشروبات المنعشة والباردة ولكنهم إن ارادوا ماءاً في الآخرة يؤتى لهم بماء كالمهل يشوي الوجوه، فكيف يمكن شربه؟!!، وقد كان لهم في حياتهم الدنيا سرادق عالية باذخة وفي الآخرة لهم سرادق أيضاً لكنها خيام عظيمة من لهيب نار جهنم فالآية المباركة جسدت لكل ما موجود في الدنيا ولكن لكل عملٍ جزاءه(246).

أما ما جاء في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ*فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ*كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ*يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ (247) فالآيات المباركة فصلت القول في نعيم النفوس ونعيم الاجساد ولم تركز على واحد منهما بل اهتمت بالنعيمين كليهما بل وافاضت في نعيم النفوس كـ: (المقام الأمين، والتقابل،التزويج بالحور، مبشرين بخلود هذه النعمة فلا يذوقون الموت). فناسب ذلك الإيجاز بحذف لفظ (الثياب) والاكتفاء بدلالة يلبسون على المحذوف (248).

وهناك مواضع أخرى حسن فيها الذكر لأنه جاء مناسباً للسياق، نبه عليها وبين جمال نظمها صاحب التحرير والتنوير منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (249)، فلم يقل مسرفاً، ففي قوله (من المسرفين) أشد مبالغة في اتصافه بالإسراف (250).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[251] فالمصبوب هو الحميم وليس العذاب لإنه ليس من الأجسام المائعة وهو أمر معنوي لا يصب، فكان الأصل أن يقال: يصب من فوق رؤوسهم العذاب وهو الحميم للمبالغة وزيد (من) للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع [252].

و((الصب مستعار للتقوية والإسراع فهو تمثيلية اقتضاها ترويع الأثيم حين سمعها، فلما كان المحكي هنا القول الذي يسمعه الأثيم صيغ بطريقة تمثيلية تهويلاً، بخلاف قوله: ((يصب من فوق رؤوسهم الحميم)) الذي هو إخبار عنهم في زمن هم غير سامعيه فلم يؤت بمثل هذه الاستعارة إذ لا مقتضى لها))[253].

ومن جميل الذكر قوله تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[254]، فلم يقل: إنهم مغرقون، ليفيد ((أن إغراقهم قد لزمهم حتى صار كأنه من مقومات عنديتهم))[255].

خامساً: التقديم والتأخير

وهو أحد أساليب البلاغة، ودليل على التمكن في الفصاحة والملكة من الكلام، وللتقديم والتأخير موقع حسن ومذاق عذب، وله عدة اقسام، وجعله الدكتور فاضل السامرائي على قسمين:

1- تقديم اللفظ على عامله، نحو: خالداً أعطيت.
2- تقديم الالفاظ على بعضها في غير العامل وذلك كتقديم السماء على الأرض، والانس على الجن، أو بالعكس ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[256]، ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[257] وكل ذلك حسب مقتضيات السياق [258].

وسأقسم الكلام في هذا الموضوع على قسمين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله

يندرج تحت هذا العنوان تقديم المفعول به على فعله، تقديم الحال على الفعل وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ[259].

ومنه تقديم (يوم) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [260]، فأصل تركيب الجملة: إنا منتقمون يوم نبطش البطشة الكبرى. ((فـ (يوم) منصوب على المفعول فيه لإسم الفاعل وهو منتقمون))[261]، أو (((يوم) ظرف لما دل عليه قوله: إنا منتقمون لا منتقمون لإن (إنَّا) مانعة عن ذلك))[262].

وفي تقديمه وجهان:

الأول: ما ذهب إليه صاحب التحرير والتنوير من أنه تقدم على عامله للاهتمام به لتهويله[263].

الثاني: المراد بهذا اليوم قولان:

1- أنه يوم بدر [264].

2- أنه يوم القيامة وهذا القول أصح لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ولأن هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى على الإطلاق وجب أن تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس إلا في القيامة [265].

فعلى هذا القول يكون تقديم (يوم) على عامله افاد التخصيص أي تخصيص هذا اليوم (يوم القيامة) بالبطشة الكبرى التي لا تحدث إلا في هذا اليوم الموعود[266].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾**[267].

فتقدم خبر (إنَّ): (لكم) على اسمها (رسول).

((للاهتمام بتعلق الارسال بأنه لهم ابتداءً بأن يعطوه بني اسرائيل لأن ذلك وسيلة للمقصود من إرساله لتحرير أمة إسرائيل والتشريع لها))[268].

فأفاد التقديم الاختصاص والاهتمام بتعلق الارسال بأنه لهم أي هذا الرسول مختص بهذه الأمة والجملة الأسمية (إني لكم رسول أمين) عِلَّة لتسليم بني اسرائيل إليه فهو مرسل إليهم وأمين عليهم وهي وسيلة لتحريرهم فقوله (لكم) خطاباً لفرعون وقومه وبني اسرائيل، فيكون امتناع فرعون بعد هذا الخطاب مبرراً لانسلاخ بني اسرائيل عن طاعته وفرارهم من بلاده [269].

ثانياً: تقديم اللفظ على غير عامله:

إنَّ تقديم الألفاظ بعضها على بعض له عدة أسباب يقتضيها المقام ويتطلبها السياق، والقرآن الكريم أعلى مرتبة في ذلك فإنا نراه يقدم لفظ مرة ويؤخره مرة أخرى حسب المقام [270].

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[271]، فقد قدم السميع على العليم وفي ذلك عِدَّة آراء:

أولاً: إن تقديم السميع على العليم تقديم بحسب الرتبة، فبدأ بالسمع لتعلقه بما يقرب كالأصوات وهمس الحركات، فإن من يسمع صوتك وهمسك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك أنه يعلم، فإنه يقتضي التخويف والتهديد.

ثانياً: بدأ بالسمع لأنه من ((وسائل العلم فهو يسبقه))[272].

ثالثاً: تقديم السميع على العليم للاهتمام بالمسموعات لأن أصل الكفر هو دعاة المشركين أصنامهم [273].

ومن تقديم اللفظ على غير عامله، قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [274].

فقد قدم: الجنات على العيون، والزروع والمقام، من باب تقديم الكل على الجزء فإن العيون والزروع والمقام هي من مكونات الجنة واجزائها [275].

فتقدمت الجنة (الكل) على العيون والزروع والمقام (الجزء).

وقد يكون التقديم هنا من قبيل التقديم بحسب الكثرة والقلة فقد رتب النعم متدرجاً من القلة وهي (الجنات أي: البساتين) وهي أقل من الزروع. وذلك لأن الجنات تحوي أعداداً من العيون والزروع وهي لا ريب أكثر من الجنات [276].

وقد قدم الجنات على النعمة أيضاً.

وهي من باب تقديم الخاص على العام. فإن الجنات كانت جزءاً من عموم النعمة التي كانوا متنعمين فيها، فقدم ما هو أخص (الجنات) على ما هو أعم (النعمة).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[277].

قدم (العزيز) على (الرحيم) لأن الكلام عن (يوم الفصل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ* يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [278]، فابتدأ بالعزة، لأن يوم القيامة موضع من مواضع إظهار عزته وغلبته، فهو العزيز بانتقامه من أعدائه وهو موضع خوف ورهبة لهم في هذا اليوم [279].

وقد يكون التقديم من باب السبق والأولية في الوجود لأنه عز فرحم فهو لا يرحم إلا إن كان ذا عزة وغلبة تمكنه من الرحمة أو العقاب [280].

ومن التقديم أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ* مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ* وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ* وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ﴾ قدم الإنجاء على الاختيار والايتاء، وذلك لأن ((دفع الضرر مقدم على إيصال النفع فبدأ تعالى ببيان دفع الضرر عنهم فقال: (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) يعني قتل الابناء واستخدام النساء والاتعاب في الأعمال الشاقة))[281]، فلما بين أولاً كيفية إنجاء بني إسرائيل من فرعون وعذابه ثم بين كيفية احسانه إلى موسى وقومه باختيارهم على العالمين وإيتاء الآيات.

سادساً: التوكيد

التوكيد أسلوب من الأساليب يلجأ إليه لتقوية الكلام وتأكيده وليكون اكثر تمكناً في ذهن المتلقي وقلبه، ويدفع أي شبه أو وهماً أو غفلة قد تصيب المتلقي، والعرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة للتوكيد والقرآن الكريم أعلى نص وأبلغ كلام، راعى استعمال التوكيد في مواضعه أدق مراعاة، فهو دقيق في اختيار الالفاظ المؤكدة ووضعها في مواضعها المناسبة بطريقة فنية متقنة.

والبحث لا يتطرق إلى مواضع التوكيد أو ادواته أو أقسامه المستعملة في سورة الدخان وإنما يركز على الايات التي قد ترد مؤكدة في موطن ثم ترد خالية من التوكيد في موطن اخر يبدو شبيهاً به، أو أُكِدت بمؤكد واحد، او اختيار مؤكدات مختلفة في مواطن تبدو متشابهة [282].

ومن ذلك ما جاء في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[283] ، فخاطب النبي موسى عليه السلام بقوله: فاسر بعبادي ليلا، مع أن السرى هو سير الليل، فأكد بلفظ (ليلاً) للزمن الذي يراد السرى به [284].

أما في سورة الشعراء جاء قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[285] .

فالإسراء الوارد في سورة الدخان كان إلى طريق البحر والتي فيها كان هلاك فرعون وأتباعه، فأكد على أن الاسراء يكون ليلاً ليكون معنى الاسراء المراد في الاية حقيقة وليس مجازاً كما هو متعارف أن الرحيل فجراً، وذلك ليكون لهم سعة من الوقت يبلغون به إلى شاطئ البحر قبل أن يدركهم فرعون وجنوده فـ (ليلاً) تأكيد للزمن الذي تضمنه الاسراء [286] .

أما قوله في سورة الشعراء (فاسر بعبادي أنكم متبعون) فقد ورد بعد ذكر حادثة عصا موسى والسحرة الذين امنوا به، فالاسراء الذي أمر به النبي موسى عليه السلام كان للخروج من المدينة التي فيها فرعون وملائه بدليل الايات الواردة بعد حادثة عصا موسى والسحرة الذين امنوا به، في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ* وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾(287) .

فالاسراء الوارد هنا يختلف عن الاسراء الوارد في سورة الدخان الذي كان يراد به السير ليلاً، أما ما جاء في سورة الشعراء فقد يكون من السراة وهي أرض واسعة فأسرى نحو : اجبل أي أذهب في سراة ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ* مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾(288) .

جاءت الاية المباركة مؤكدة بـ (إن وبـ (من) في قوله (من المسرفين) المؤكدة لـ (من) الاولى المعدية لـ (نجينا) فالحرف الداخل على المبدل منه يجوز أن يدخل على البدل (289).

أما قوله تعالى في سورة يونس ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾(290) .

فجاء قوله: (إن فرعون لعال في الارض وأنه لمن المسرفين) في سورة يونس بمؤكدات اكثر من قوله: (من فرعون أنه كان عاليا من المسرفين) فقد اكد الكلام بـ (إن) مرتين وباللام في (لعال) وفي (لمن المسرفين) وزاد (في الأرض) وذلك كله زيادة في التأكيد لأن سياق سورة يتطلب زيادة التوكيد لعدة أسباب:

- إن جملة (إن فرعون لعال في الأرض وأنه لمن المسرفين) في سورة يونس لبيان سبب قلة المؤمنين بموسى ورسالته وذلك لأن فرعون قاهر في الارض متجاوز على الحق مسرف في القتل وفي الاكثار من المعاصي والظلم (291).

والكلام في الآية المباركة متفرع على قصة بعث موسى وهارون وفرعون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ* وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ* فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ* وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾(292) .

فالايات المباركة ذكرت قصة بعث موسى وهارون وما جاءوا به من معجزات احقت الحق رغم تكبر المجرمون وكرههم للحق، فالايات ختمت بقوله: (ويحق الحق بكلماته ولو

كره المجرمون) والذي يدل على غلبة موسى على فرعون والسحرة إلا أنه رغم كل ذلك لم يؤمن بموسى إلا (ذرية) وسماهم (ذرية) على وجه التصغير لقلتهم مقارنة بقوم فرعون فبين أن سبب عدم إيمانهم هو سطوة فرعون وإسرافه في الظلم والبغي فأكد ذلك العلو والسطوة لتناسب السياق الذي وردت فيه [293].

أما سورة الدخان فقوله (من فرعون) فالأظهر أنه بدلاً مطابقاً للعذاب المهين، في قوله (من العذاب المهين من فرعون أنه كان عالياً من المسرفين) ففيه بيان انجاء بني إسرائيل من عذاب فرعون وقساوته [294] .

فالمقام وأن اقتضى توكيداً إلا أنه لم يكن كمقام يونس الذي اقتضى توكيداً أشد وابلغ.

ومنه أيضاً قوله تعالى في سورة الدخان : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [295] فجاءت الاية مؤكدة بـ (إن) وبلفظة (اجمعين) .

بينما نقرأ في سورة النبأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[296] .

جاءت الآية بمؤكد واحد وهو (إن) فقط؛ وذلك لأن ما جاء في سورة الدخان هو وعيد لهم (أي المشركين) وتأكيد الخبر بـ (أن) و(أجمعين) لرد انكارهم الوارد في الآيات السابقة فقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ* إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ* فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[297] .

فإنه لما هددهم بعذاب الدخان والبطشة الكبرى وضرب لهم المثل بقوم فرعون اشار إلى كلامهم في إنكار البعث والقاء الحجة على نفي البعث بأن الأموات السابقين لم يرجع أحد منهم إلى الحياة [298].

فجاءت لفظة (اجمعين) لتؤكد على بعثهم جميعهم هم واباءهم وجميع الخلق مؤمنيهم وكفارهم واضيف الميقات إلى ضمير المخبر منهم لأنهم المقصود من هذا الوعيد، فالتأكيد بـ (اجمعين) للتنصيص على الاحاطة والشمول، فالجزاء لهم أجمعين لا تفلت منه احد [299].

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [300] في سورة النبأ لم يأت الكلام مؤكداً بلفظ (اجمعين) لأن الآية المباركة لم تأت رداً لانكار منكر وإنما جاءت في سياق ايات متتابعة تصف يوم الفصل وما يجري فيه وأنه لا ريب في وقوعه، فالكلام منصب على يوم الفصل وأوصافه وما يجري فيه بخلاف سورة الدخان فقد ذكر اعلاما لمن انكر البعث بأن يوم الفصل هو أجل الجزاء وهو يوم الحكم، وهو ميقات جزائهم كلهم الذي لا يفلت منه أحد منهم [301].

سابعاً: التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها

إن التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها وانسجام المطلع مع الخاتمة أمر معروف مشهور، وهو يعني بأي وجه من وجوه التناسب كالإيجاز في موضع، والتفصيل في موضع اخر، ذكر امر وذكر ما يقابله أو يتممه في موضع آخر فالتناسب والانسجام بين المفتتح والخاتمة ليس شيئاً عارضاً ولا توافق عابر بل هو سمة بينه من سمات القرآن الكريم وأمر فني مقصود لتمام الاعجاز والبلاغة (302).

وسورة الدخان كسور القرآن اتسمت بوجود التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها والذي يمكن أن يلاحظ في ذكر أمرين:

الاول: ذكر الكتاب في أول السورة وختامها بقوله من أولها: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (303) ثم قال ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾(304) وقال في آخرها ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (305) .

فجاء بذكر القرآن في ختام السورة، وضمير (يسرناه) عائد على (الكتاب) المذكور في أول السورة ، وهو يذكرهم بنعمة الله في تيسير هذا على لسان الرسول لينفذ إلى أعماق القلوب فينبه الغافلين، ويذكر كل من له قلب، فتيسير الفهم والتذكير رحمة من الله كانزال الكتاب.

الثاني: الانذار والتهديد: تبدأ السورة بإيقاع عنيف مملوء بالتهديد والوعيد والانذار المرعب جراء الشك واللعب: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ فيقول لهم: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾(306).

وتختتم السورة أيضا بالتهديد والانذار بفعل الامر نفسه (ارتقب) في قوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾(307)

ففي هذه الخاتمة البديعة الايجاز ردَّ العجز على الصدر إذ كان صدر السورة ذِكْرٌ للقرآن وإنزاله وأنَّه رحمةً من الله، والإنذار والأمر بالارتقاب.

وجاء عجز السورة أيضا بذكر القرآن وتيسيره . والتيسير أيضاً رحمة من الله، وأيضاً الانذار والامر بالارتقاب (308).

الهوامش :

---

(1) ينظر: تفسير الرازي 17/1- 21، و96/27.

(2) ينظر: البرهان 173/2.

(3) ينظر: لسان العرب 114/9.
(4) التعريفات 63.
(5) ينظر: علم الدلالة 216.
(6) البرهان: 78/4.
(7) سورة الدخان 1- 2.
(8) ينظر: تفسير الرازي 26/25.
(9) سورة يس 1- 2.
(10) ينظر: تفسير الرازي 26/25، روح البيان 401/8.
(11) ينظر: تفسير القمي 211/2، والتبيان للطوسي 441/8.
(12) ينظر: تفسير الرازي 237/27.
(13) ينظر: الميزان 62/17.
(14) سورة الحج 8.
(15) ينظر: المفردات 442- 443.
(16) ينظر: الميزان: 62/17.
(17) سورة الدخان: 3.
(18) ينظر: روح البيان 44/8، الكشاف 275/4.
(19) الزخرف: 80.
(20) سورة الكهف: 49.
(21) سورة الانعام: 59.
(22) التوبة: 51.
(23) ينظر: المفردات 441- 442.
(24) سورة يس: 4- 6.
(25) ينظر: التبيان، 442/8.
(26) ينظر: البرهان 80/4- 81، الفروق اللغوية 152، المفردات 12، 13، 109.
(27) سورة الدخان 10.
(28) سورة الدخان 10.
(29) سورة الدخان 18- 19.
(30) سورة يونس 68.
(31) ينظر: التحرير والتنوير 297/25.
(32) سورة الدخان 33.
(33) ينظر: تفسير الرازي: 448/27، والتحرير والتنوير: 306/25.
(34) سورة الدخان 36
(35) ينظر: التحرير والتنوير 308/25.
(36) سورة الدخان 13.
(37) سورة الدخان 17.
(38) مريم 57.
(39) ينظر: المفردات : 504، والفروق اللغوية 531، والنبوة 21- 22.
(40) سورة الدخان 13.
(41) ينظر: تفسير الرازي 27/ 243، والكشاف 4/ 278، والتحرير والتنوير 25/ 291.
(42) سورة الدخان 14.
(43) ينظر: روح البيان 8/ 407، الكشاف 4/ 277، التحرير والتنوير 25/ 292.
(44) سورة الدخان 17.
(45) سورة الدخان 18.

[46] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 295، الكشاف 4/ 278، روح البيان 8/ 410.
[47] ينظر: القاموس المحيط 1/ 30، و3/ 228، والمفردات 163، 516.
[48] سورة الدخان 38- 39.
[49] ينظر: المعجم المفهرس 296- 301.
[50] سورة المؤمنون 12.
[51] سورة المؤمنون 14.
[52] سورة الدخان 8.
[53] ينظر: المفردات 191.
[54] سورة الدخان 11- 12.
[55] ينظر: (علل التعابير القرآنية في تفسير سورة البقرة، اطروحة دكتوراه 68).
[56] سورة الدخان 18.
[57] سورة مريم 65.
[58] ينظر: المفردات 25، 191.
[59] سورة يوسف 50.
[60] سورة الدخان 10.
[61] ينظر: العين 5/ 154، ولسان العرب 5/ 219.
[62] ينظر: الامثل 16/ 175.
[63] ينظر: الصحاح 1/ 137- 138، الجامع لاحكام القرآن 16/ 130.
[64] ينظر: معاني النحو 1/ 11.
[65] سورة الدخان 13.
[66] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 291.
[67] ينظر: تفسير الرازي 27/ 243، الكشاف 4/ 271، التحرير والتنوير 25/ 291.
[68] سورة الدخان 4.
[69] ينظر: تفسير الرازي 27/ 340، التحرير والتنوير 2/ 280- 281، معاني الابنية 61- 63.
[70] سورة الدخان 18.
[71] ينظر: الكشاف 3/ 274، روح البيان 8/ 410، التحرير والتنوير 295- 296.
[72] سورة الدخان 51.
[73] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 317.
[74] ينظر: معاني الابنية 48.
[75] سورة الدخان 6.
[76] ينظر: روح البيان 8/ 405.
[77] سورة الدخان 2.
[78] ينظر: شرح الرضي 3/ 422.
[79] سورة الدخان 43- 44.
[80] ينظر: الميزان 18/ 148.
[81] سورة الدخان 17.
[82] روح البيان 8/ 409.
[83] المفردات 445.
[84] سورة الدخان 26.
[85] التحرير والتنوير 25/ 302.
[86] ينظر: معاني الابنية 94- 99.
[87] ينظر:
[88] ينظر: شذا العرف 74.

(89) سورة الدخان 25.
(90) ينظر: لسان العرب 1/ 551، شرح الشافية 1/ 181، التحرير والتنوير 25/ 302.
(91) سورة الدخان 56.
(92) روح البيان 8/ 431.
(93) سورة الدخان 3.
(94) ينظر: تفسير الرازي 27/ 239، التحرير والتنوير 25/ 277- 278، المفردات 511.
(95) ينظر: بلاغة الكلمة 60- 65.
(96) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 278- 279، في ظلال القرآن 25/ 107- 108.
(97) سورة الدخان 30.
(98) سورة الشعراء 65.
(99) بلاغة الكلمة 66- 71.
(100) سورة الشعراء 61-66.
(101) ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن 784، وبلاغة الكلمة 66- 71.
(102) سورة فصلت 18.
(103) سورة النمل 53.
(104) بلاغة الكلمة 68.
(105) سورة فصلت 17/ 18.
(106) سورة النمل : 45- 53.
(107) معاني النحو 2/ 63.
(108) سورة الدخان 33.
(109) ينظر: تفسير الرازي 27/ 248.
(110) سورة الدخان 32.
(111) ينظر: معاني النحو 2/ 66- 67.
(112) سورة الاعراف 137.
(113) سورة غافر 53- 54.
(114) سورة الشورى 14.
(115) ينظر: معاني النحو 2/ 66- 67.
(116) سورة الاعراف 143.
(117) سورة الزخرف 70- 73.
(118) ينظر: المفردات 542.
(119) ينظر: معاني النحو 2/ 68.
(120) ينظر: بلاغة الكلمة 72- 75.
(121) ينظر: الفروق اللغوية 111- 112، والتعريفات 57.
(122) الفروق اللغوية 112- 113.
(123) ينظر: البرهان : 2/ 95، 103، اعجاز القرآن 35.
(124) ينظر: معاني النحو: 1/ 15- 16، ومعاني الابنية 17.
(125) ينظر: معاني الابنية 9- 11.
(126) سورة الدخان 11.
(127) ينظر: الاية (10) من سورة الدخان.
(128) سورة الدخان 12.
(129) سورة الدخان 15.
(130) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 292.
(131) سورة الدخان 43- 44.

(132) سورة الدخان 51- 52.
(133) سورة الدخان 9.
(134) التحرير والتنوير 25/ 285.
(135) ينظر: التعبير القرآني 24، ومعاني الابنية 14- 15.
(136) سورة الدخان 23.
(137) سورة الدخان 24.
(138) ينظر:في ظلال القرآن 25/ 115.
(139) سورة الدخان 15.
(140) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 292- 293، وروح البيان 8/ 407.
(141) ينظر: معاني الابنية 47.
(142) سورة الدخان 8.
(143) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 284، في ظلال القرآن 25/ 108، روح البيان 8/ 405.
(144) سورة الدخان 53.
(145) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 317.
(146) ينظر: روح البيان 8/ 430، والتحرير والتنوير 25/ 318.
(147) سورة الدخان 43.
(148) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 319.
(149) ينظر: مختصر المعاني 58، 68. والبليغ والمعاني والبديع 68- 69.
(150) سورة الدخان 2.
(151) ينظر: التحرير والتنوير: 25/ 277.
(152) ينظر: تفسير الرازي 27/ 237.
(153) سورة القدر 3- 5.
(154) سورة الدخان 4.
(155) سورة القدر 5.
(156) سورة الدخان 6.
(157) سورة الدخان 51- 52.
(158) ينظر: روح البيان 8/ 429.
(159) سورة القلم 34.
(160) ينظر: 29/ 33، وتفسير الرازي 3/ 91، والبحر المحيط 8/ 308.
(161) ينظر: الكشاف 4/ 596- 597.
(162) سورة القلم 35.
(163) سورة الدخان 1- 2.
(164) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 277.
(165) ينظر: شرح قطر الندى 154، معاني النحو 1/ 123.
(166) سورة الطور 1- 2.
(167) تفسير القرآن الكريم 489.
(168) سورة الدخان 3.
(169) ينظر: معاني القرآن للفراء 3/ 91.
(170) ينظر روح البيان 8/ 400.
(171) ينظر: التبيان 9/ 402، الميزان 19/ 6.
(172) سورة الدخان 3- 6.
(173) سورة الانبياء 107.
(174) سورة الدخان 8.

[175]التحرير والتنوير 25/ 281- 282.
[176] ينظر: المصدر السابق 25/ 284.
[177] سورة الدخان 7.
[178] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 281- 284.
[179] سورة الدخان 48.
[180] الميزان : 18/ 148.
[181] التحرير والتنوير 25/ 315- 316.
[182] جامع البيان 25/ 173- 174.
[183] سورة الدخان 43- 49.
[184] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 316.
[185] ينظر: لسان العرب 4/ 153، 11/ 435.
[186] سورة الدخان: (3)
[187] المفردات 509.
[188] ينظر: الكشاف: 4/ 275، والتحرير والتنوير 25/ 279.
[189] ينظر: في ظلال القرآن 25/ 105، الميزان 18/ 129.
[190] سورة الدخان 24- 26.
[191] سورة الدخان 51- 55.
[192] ينظر: الكشاف 4/ 278- 279.
[193] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 316، 319.
[194] سورة الدخان 11.
[195] ينظر: معاني القرآن 3/ 40.
[196] ينظر: تفسير الرازي 27/ 243.
[197] سورة الدخان 11.
[198] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 289.
[199] سورة الدخان 58.
[200] ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم 749.
[201] سورة الشعراء 195.
[202] سورة الروم 22.
[203] ينظر: لسان العرب 15/ 250 – 251، والمفردات 470- 471.
[204] سورة الدخان 290.
[205] سورة الدخان 7.
[206] سورة الدخان 38.
[207] ينظر: التعبير القرآني 42.
[208] ينظر: روح البيان 8/ 414.
[209] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 283، 314.
[210] سورة الدخان 18.
[211] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 295.
[212] ينظر: تفسير الرازي 8/ 410، والتحرير والتنوير 25/ 295، والكشاف 4/ 278.
[213] سورة الدخان 36.
[214] سورة الطلاق 1.
[215] سورة المؤمنون 99.
[216] سورة الدخان 50
[217] ينظر: التحرير والتنوير 25/ 316، وروح البيان 8/ 428.

(218) ينظر: جواهر البلاغة 117، التعبير القرآني 72، بلاغة الكلمة 9.
(219) سورة الدخان 20.
(220) ينظر: التعبير القرآني 76، وبلاغة الكلمة 21.
(221) ينظر: في ظلال القرآن 25/ 105- 106.
(222) ينظر: التحرير والتنوير 294/25، وفي ظلال القرآن 113/25.
(223) ينظر: التحرير والتنوير 297/25- 298.
(224) سورة القصص 33.
(225) سورة الدخان 22.
(226) سورة الدخان 24.
(227) ينظر: سورة الدخان.
(228) سورة الدخان 21.
(229) سورة الدخان 6.
(230) سورة الاعراف 200.
(231) سورة الدخان 3- 6.
(232) ينظر: التحرير والتنوير 279/25- 282.
(233) سورة الاعراف 200.
(234) ينظر: الميزان 381/8- 385.
(235) سورة الدخان 57.
(236) سورة المائدة 119.
(237) سورة الدخان 51- 57.
(238) سورة المائدة 119.
(239) ينظر: التحرير والتنوير 320/25.
(240) ينظر: الميزان 251/6.
(241) سورة الدخان 53.
(242) سورة الكهف 31.
(243) ينظر: جامع البيان 176/25.
(244) سورة الكهف 28- 31.
(245) ينظر: الأمثل 256/9.
(246) ينظر: الامثل 258/9- 259.
(247) سورة الدخان 51- 56.
(248) ينظر: التحرير والتنوير 316/25- 318.
(249) سورة الدخان 31.
(250) ينظر: التحرير والتنوير 305/25.
(251) سورة الدخان 48.
(252) ينظر: روح البيان 427/8، المفردات 135، لسان العرب 153/12.
(253) التحرير والتنوير 315/25- 316.
(254) سورة الدخان 24.
(255) التحرير والتنوير 301/25.
(256) سورة المائدة 3.
(257) سورة البقرة 173.
(258) ينظر: البرهان 233/3، 238، والتعبير القرآني 48- 50.
(259) ينظر: التعبير القرآني 48.
(260) سورة الدخان 16.

(261) التحرير والتنوير 293/25.
(262) روح البيان 407/8.
(263) ينظر: التحرير والتنوير 293/25.
(264) المصدر السابق.
(265) ينظر: تفسير الرازي 244/27.
(266) ينظر: جواهر البلاغة 173، والتعبير القرآني 50/48.
(267) سورة الدخان: 18.
(268) التحرير والتنوير 296/25.
(269) ينظر: جواهر البلاغة 152، التحرير والتنوير 296/25، ومعاني النحو 91/3.
(270) ينظر: للبرهان 249/3، والتعبير القرآني 54.
(271) سورة الدخان 6.
(272) التعبير القرآني 54.
(273) ينظر: التحرير والتنوير 282/25.
(274) سورة الدخان 25- 27.
(275) ينظر: الامثل 141/16.
(276) ينظر: التعبير القرآني 55- 56.
(277) سورة الدخان 42.
(278) سورة الدخان 40- 42.
(279) ينظر: جامع البيان 168/25، وروح البيان 425/9.
(280) ينظر: البرهان 261/3، التعبير القرآني 52.
(281) تفسير الرازي 248/27.
(282) ينظر: معاني النحو 4/ 112ن والتعبير القرآني 115.
(283) سورة الدخان 23.
(284) ينظر: المفردات 238- 239.
(285) سورة الشعراء 52.
(286) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 299.
(287) سورة الشعراء 52- 66.
(288) سورة الدخان 30- 31.
(289) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 305.
(290) سورة يونس 83.
(291) ينظر: التبيان 5/ 419.
(292) سورة يونس 75- 82.
(293) ينظر: جامع الجوامع 2/ 142، والميزان 10/ 113.
(294) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 304- 305.
(295) سورة الدخان 40.
(296) سورة النبأ 38.
(297) سورة الدخان 34- 36.
(298) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 304- 305.
(299) ينظر: المصدر نفسه 25/ 311- 312.
(300) سورة الدخان 38.
(301) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 311- 312، والميزان 20/ 165، 168.
(302) ينظر: التعبير القرآني 225- 226، التناسب بين السور 7، 8.
(303) سورة الدخان 1 -3.

(304) سورة الدخان: 1- 3.
(305) سورة الدخان 9.
(306) سورة الدخان 10.
(307) سورة الدخان 59.
(308) ينظر: التحرير والتنوير 25/ 276، 322، وفي ظلال القرآن 25/ 105، 106، 121 والامثل 16، 174، 175، والتناسب بين السور 57.

مصادر البحث

1- **القرآن الكريم**
2- اعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) تحقيق السيد احمد صقر، ط3، دار المعارف بمصر (د.ت)
3- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ط1، 2002م، دار احياء التراث العربي.
4- البرهان في علوم القرآن، للامام بدر الدين الزركشي (ت794هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1، 1376هـ- 1957م.
5- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، الاستاذ الدكتور فاضل السامرائي ط2، 1427هـ- 2006م، القاهرة.
6- البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيخ احمد امين الشيرازي، ط1، 1422هـ، مؤسسة النشر الاسلامي – إيران .
7- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ط1، 1209هـ، دار احياء التراث العربي.
8- التحرير والتنوير، سماحة الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون= تونس، (د.ط)، 1997م.
9- التعبير القرآني- الدكتور فاضل صالح السامرائي، 1986م- 1987. ساعدت جامعة بغداد على طبعه، تسلسل التعضيد 15.
10- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ضبط نصوصه محمد علي أبو العباس ط1، 2014م، القاهرة- دار الطلائع.
11- تفسير البحر المحيط، أبي حيان الاندلسي (ت745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض ، واخرون ط، 1422هـ- 2001م، لبنان- دار الكتب العلمية.
12- تفسير القرآن الكريم- العلامة: السيد عبد الله شبر (ت1242هـ)، ط3ن 1397م- دار احياء التراث العربي- بيروت .
13- تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله (ت329هـ) وعلق عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري ط3، 1404هـ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم- ايران.
14- التفسير الكبير للامام الفخر الرازي، ط1، مصر.
15- التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، الدكتور فاضل صالح السامرائي ط1- 1432هـ، دار ابن الجوزي – السعودية.

16- الجامع لاحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي 1405هـ- 1985م، دار احياء التراث العربي- لبيروت (د.ط) .
17- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت390هـ)، قدم له : الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت 1415هـ- 1995م.
18- جامع الجوامع – للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) ط1، 1418هـ، مؤسسة النشر الاسلامي – قم.
19- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- السيد احمد الهاشمي دار احياء التراث العربي- بيروتن ط12، د. ت.
20- روح البيان - إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي (ت1127هـ) دار الفكر- بيروت – لبنان، (د.ت)، (د.ط)
21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الالوسي (ت1275هـ) البغدادي، دار احياء التراث العربي- بيروت.
22- شذا العرف في فن الصرف الاستاذ الشيخ احمد الحملاوي، ط12، 1957م، القاهرة.
23- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي (ت686هـ) تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، 1395هـ- 1975م، مؤسسة الصادق – طهران.
24- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت686هـ) تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزخراف، محمد محي الدين عبد الحميد 1395هـ- 1975م، دار الكتب العلمية- بيروت.
25- شرح قطر الندى وبل الصدى ابن هشام الانصاري، ومعه كتاب نهج التقى بتحقيق واعراب شواهد قطر الندى، تأليف: الشيخ الامام العلامة النحوي محمد جعفر الكرباسي النجفي، ط5، 1432هـ- إيران.
26- الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ) تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط4، 1407هـ- 1987م، دار العلم للملايين – بيروت.
27- علم الدلالة – د. احمد مختار عمر، ط5، 1998م، عالم الكتب القاهرة.
28- العين- لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت170ه) تحقيق الدكتور: مهدي المخزومي- ود. ابراهيم السامرائي. 2، 1409هـ، مؤسسة دار الهجرة – إيران.
29- الفروق اللغوية الحادي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، ط6، 1433هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – إيران.
30- القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت817هـ) دار الفكر- بيروت (د.ت)، (د.ط)
31- في ظلال القرآن- سيد قطب، ط5، 1386هـ- 1967. دار العلم للملايين- بيروت.
32- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، وفي حاشيته الانتصاف لاحمد الاسكندري (683هـ)، وفي اخره كتابات الكاف الشاف

لأبن حجر العسقلاني (852هـ) وشرح شواهد الكشاف لمحب الدين افندي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار احياء التراث العربي – بيروتن ط2، 1421هـ- 2001م.
33- لسان العرب لابن منظور (ت711هـ)،
34- مختصر المعاني، اسعد الدين التفتازاني، ط1، 1411هـ دار الفكر- قم- إيران.
35- معاني الابنية ، د. فاضل السامرائي، ط1، 1401هـ- 1981م، حققه: عامر احمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 2003م- 1424م. جامعة الكويت- كلية الاداب، ساعدت جامعة بغداد على نشره.
36- معاني القرآن- لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) ط2- 1980م، عالم الكتب – بيروت.
37- معاني النحو – د. فاضل صالح السامرائي- ط1، 1428هـ- 2007م دار احياء التراث العربي- بيروت.
38- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث- القاهرة، 1428هـ- 2007م، (د.ط)
39- المفردات في غريب القرآن – أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (502هـ)، ضبطه : هيثم طعيمي ط1، 1428هـ- 2008م، دار احياء التراث – بيروت.
40- الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي، ط2، 1391هـ- 1971، مؤسسة الاعلمي – بيروت.
41- النبوة – بقلم الشيخ محمد حسن ال ياسين ط1، 1392هـ- 1971، مؤسسة الاعلمي- بيروت.

الرسائل والاطاريح

1- علل التعبير القرآني في تفاسير سورة البقرة دراسة بلاغية اسلوبية، اطروحة الطالب: عامر مهدي صالح العلواني، 1424هـ- 2004م، كلية التربية ابن رشد.

Nafahat statement Aldokhan in Surat

Zainb H. Husaien

Abstract :

Narrated from Imam Ali Bin Al Hussein said: ((verses of the Koran cabinets, the more opened the treasury should you consider what a)).

This research looks for in a safe Surat blessed smoke and verified considered, Fssorh smoke Bayatea Kassar, and Qoavera converged, and images of violent, touched on the strings of hearts and spirits mimic Quranic miraculous manner and artistic expression intended.

And the beauty of cohesion, the quest focuses in his career from its beginning to its limit on the statement in the context of the sura of cohesion and harmony and where the means of graphical effects and awaken the human heart to receive these living facts vibrant.

He studies the Quranic text beginner Bamufrdh and to undergo the tandem, or a nominal or actual, is seen in the faces of authoring the Qur'an as: Presentation and delays, deletions and male and reverse the definition, saying that the indefinite, and proportionality, and is in all this sheds light on the national art and beauty and splendor of systems, pointing out in the course of it causes various expressive examples and verses from the Koran and shows the reader insight carefully and obviously minutes provisions of language and its secrets.